

كتبه

أبو عبد الله فيصل بن عبده قائد الحاشدي

عفا الله عنه









الطبعة الأولى

٢٠٠٨

رقم الإيداع

٢٠٠٧ / ٨٨٢٤

الترقيم الدولي

977/331/449/9



دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع

١٩،١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ ت : ٥٤١١٩١٠ - ٥٢٢٢٠٠٢
E-mail: dar_aleman@hotmail.com

مُقَدِّمَة

حَمْداً لله عَلَىٰ نَعْمَائِه ، وَصَلاةً وسَلاماً عَلَىٰ خَاتَمِ أنْبيَائِه ، وَعَلَىٰ آلِه وَعِتْرَتِه ونِسَائِه ، وَمَنْ هَدَىٰ هَدْيَهُ مِنْ أَصْحَابِه وَأَوْلِيَائِه .

أمَّا بَعْدُ :

فَهَذِه رِسَالَةٌ بِعُنْوَان [**الصِّدِّيقَةُ**] ، مُتَرْجَمٌ فِيهَا لامْرَأَةٍ جَلِيْلَةِ الْقَدْرِ ، فَاقَت الأُمَّةَ عِلْمًا ، أَلاَ وَهِيَ أُمُّ المُؤْمِنِيْنَ عَائِشَةُ الصِّدِّيْقَةُ ابْنَةُ الصِّدِّيْقِ - رضي الله عنهما - .

عُنِيْتُ بِجَمْعِهَا وَتَهْذِيْبِهَا ، وَلَمْ آلُ جَهْداً فِي تَلْخِيْصِهَا وإِتْقَانِهَا ، رَاجِياً أَنْ تَكُونَ خَالِصَةً لِوَجْهِ اللهِ الكَرِيْمِ ، وَأَنْ يُجْزِلَ بِهَا مِنْ فَضْلِهِ العَمِيْمِ ثَوَابِي ،

وَيَجْعَلَهَا نُوراً بَيْنَ يَدَيَّ يَوْمَ حِسَابِي .

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ .

وكتبه

أبو عبد الله

فيصل بن عبده قائد الحاشدي



عَائِشَةُ الصِّدِّيقَةُ ابْنَةُ الصِّدِّيق

القُرَشِيَّةُ التَّيْمِيَّةُ

نَسَبُهَا - رضي الله عنها - :

هِيَ أُمُّ المُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ عَبْدِ اللهِ (١) ابْنِ أَبِي قُحَافَةَ عُثْمَانَ بْنِ عَامِرِ بْنِ عَمْرُو بْنِ كَعْب سَعْدِ بْنِ تَيْمِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ القُرَشِيَّةُ التَّيْمِيَّةُ (٢) .

---

(١) الأَرْجَحُ أَنَّ اسْمَ أَبِي بَكْرٍ عَبْدُ اللهِ ، وَأَنَّ عَتِيقًا لَقَبٌ لَهُ . انْظُر: «الإصَابَةُ» (٤ / ١٧٠-١٧١) . وَسَبَبُ تَلقِيبِه بِعَتِيقٍ مَا رَوَتْهُ عَائِشَةُ - رضي الله عنها - : أَنَّ أَبَا بَكْرٍ دَخَلَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ - ﷺ - ،فَقَالَ لَهُ : «أَنْتَ عَتِيقُ اللهِ مِنَ النَّارِ» فَمِنْ يَوْمَئِذٍ سُمِّيَ عَتِيقًا . أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٦٧٩) وَصَحَّحَهُ الأَلْبَانِيُّ فِي «الصَّحِيحَةُ» (١٥٧٤) ، وصَحِيح الجَامِع » (١٤٨٢) . وَقِيلَ : كَانَ يُقَالُ لَهُ : عَتِيقٌ لِجَمَالِه رضي الله عنه .

(٢) « البِدَايَةُ والنِّهَايَةُ » (٥ / ٣١٨) .

وَأُمُّهَا : أُمُّ رُومَانَ (١) بِنْتُ عَامِرِ بْنِ عُوَيْمِرِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَتَّابِ بْنِ أُذَيْنَةَ الكِنَانِيَّةُ (٢) .

---

(١) اخْتُلِفَ فِي اسْمِهَا ، فَقِيلَ: زَيْنَبُ ، وَقِيلَ: دَعْدٌ . انْظُرْ: «الإِصَابَةُ» (٨/ ٢٠٦) وَقَدْ كَانَتْ أُمُّ رُومَانَ قَبْلَ أَبِي بَكْرٍ عِنْدَ الحَارِثِ بْنِ سَخْبَرَةَ الأَزْدِيِّ ،فَقَدِمَ مَكَّةَ فَمَاتَ، وَخَلَّفَ مِنْهَا ابْنَهُ الطُّفَيْلَ ، فَتَزَوَّجَهَا أَبُو بَكْرٍ، فَوَلَدَتْ لَهُ عَبْدَ الرَّحمنِ وَعَائِشَةَ ، وَأَسْلَمَتْ أُمُّ رُومَانَ قَدِيمًا ، وَهَاجَرَتْ وَمَعَهَا عَائِشَةُ ، أَمَّا عَبْدُ الرَّحمَنِ فَتَأَخَّرَ إِسْلاَمُهُ وَهِجْرَتُهُ إِلَىٰ هُدْنَةِ الحُدَيْبِيَةِ ، فَقَدِمَ فِي سَنَةِ سَبْعٍ ، أَوْ سَنَةِ ثَمَانٍ . انْظُرْ: «الفَتْحُ» (٢/ ٣٥٨١) ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ قَبْلَهَا مِنْ قُتَيْلَةَ ـ وَقِيلَ : قَيْلَةَ ـ ابْنَةِ عَبْدِ العُزَّىٰ مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ ، فَوَلَدَتْ لَهُ عَبْدَ اللهِ وَأَسْمَاءَ ، ثُمَّ طَلَّقَهَا فِي الجَاهِلِيَّةِ .. «الفَتْحِ» (٥/ ٥٥٥) .

وَأَكْثَرُ العُلَمَاءِ عَلَىٰ أَنَّهَا مَاتَتْ مُشْرِكَةً « شَرحُ النَّوَوِيِّ عَلَىٰ مُسْلِمٍ (٦٤٠) .

وَكَانَتْ عَائِشَةُ أَصْغَرَ مِنْ أُخْتِهَا أَسْمَاءَ بِعَشْرِ سِنِينَ . « البِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ (٨/ ٧١٩) .

فَأَبَوَ عَائِشَةَ مُهَاجِرَانِ ، وَلَمْ يَتَزَوَّجِ النَّبِيُّ ـ ﷺ ـ امْرَأَةً أَبَوَاهَا مُهَاجِرَانِ غَيْرَهَا ، فَهَذِهِ فَضِيلَةٌ مِنْ فَضَائِلِهَا ـ رضي الله عنها ـ .

(٢) « السِّيَر » (٢/ ١٣٥) .

مَوْلِدُهَا - رضي الله عنها - :

وُلِدَتْ عَائِشَةُ - رضي الله عنها - بَعْدَ البِعْثَةِ بِأَرْبَعِ سِنِينَ أَوْ خَمْسٍ (١) .

وَهِيَ أَصْغَرُ مِنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - بِثَمَانِي سِنِينَ ، وَكَانَتْ تَقُولُ : لَمْ أَعْقِلْ أَبَوَيَّ إِلا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّيْنَ .

وَكَانَتْ امْرَأَةً بَيْضَاءَ جَمِيلَةً ، وَمَنْ ثَمَّ يُقَالُ لَهَا : الحُمَيْرَاءُ (٢) .

كُنْيَتُهَا - رضي الله عنها - :

عَنْ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - قَالَتْ : قُلتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّ لِكُلِّ صَوَاحِبِي كُنىً ، فَلَوْ كَنَّيْتَنِي . قَالَ : « **اكْتَنِي بِابْنِكِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ** » ، فَكَانَتْ تُكَنَّىٰ بِأُمِّ

---

(١) « الإِصَابَةُ » (٨ / ١٦) ، و « أَزْوَاجُ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - » لِلدِّمَشْقِيِّ (ص٧٨) .

(٢) الحُمَيْرَاءُ : تَصْغِيرُ الحَمْرَاءِ ، والحَمْرَاءُ فِي خِطَابِ أَهْلِ الحِجَازِ : هِيَ البَيْضَاءُ بِشُقْرَةٍ ، وَهَذَا نَادِرٌ فِيهِم .

عَبْدِ اللهِ حَتَّىٰ مَاتَتْ (١) .

تَزْوِيجُ النَّبِيِّ - ﷺ - إِيَّاهَا وَبِنَاؤُهُ بِهَا :

عَقَدَ النَّبِيُّ - ﷺ - عَلَىٰ عَائِشَةَ مُتَوَفَّىٰ خَدِيجَةَ ، وَهِيَ بِنْتُ سِتٍّ ، وَذَلِكَ فِي شَوَّالٍ سَنَةَ عَشْرٍ مِنَ البِعْثَةِ (٢) ، وَتَأَخَّرَ دُخُولُهُ بِهَا إِلَىٰ شَوَّالٍ مِنَ السَّنَةِ

---

(١) « صَحِيحٌ » أَخْرَجَهُ الإِمَامُ فِي « المُسْنَدُ » (٦/١٠٧-٢٦٠) ، وَأَبُو دَاوُدَ (٤٩٧٠) ، وَأَبُو يَعْلَىٰ (٤ / ٢٩٤) ، وَالطَّبَرَانِي فِي « الكَبِيرِ » (٢٣ / ١٨) وَصَحَّحَهُ الحَاكِمُ فِي « المُسْتَدْرَك » (٤/٢٧٨) ، وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ فِي « تَلْخِيصِهِ » .
وَقِيلَ : إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ رَسُولِ اللهِ - ﷺ - وَلَدًا سَمَّاهُ عَبْدَ اللهِ ؛ وَلِهَذَا كَانَتْ تُكْنَىٰ بِأُمِّ عَبْدِ اللهِ ، وَهَذَا غَيْرُ ثَابِتٍ ، وَالصَّحِيحُ الأَوَّلُ ، وَقَدْ وَرَدَ عَنْهَا مِنْ طُرُقٍ كَثِيرَةٍ . انْظُر : « الإِصَابَةُ » (٨ / ١٨) .

(٢) يَعْنِي : قَبْلَ الهِجْرَةِ بِثَلاثِ سِنِينَ : وَقِيلَ : عَقَدَ عَلَيْهَا قَبْلَ الهِجْرَةِ بِبِضْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا .
وَقِيلَ : بِسَنَتَيْنِ ، وَالصَّحِيحُ الأَوَّلُ ؛ لِمَا ثَبَتَ فِي « الصَّحِيحَيْنِ » - كَمَا تَقَدَّمَ فِي تَرْجَمَةِ خَدِيجَةَ - أَنَّهُ دَخَلَ بِثَلاثِ سِنِينَ ، وَثَبَتَ فِيهِمَا - أَيْضًا - أَنَّ المُدَّةَ بَيْنَ العَقْدِ عَلَيْهَا وَالدُّخُولِ بِهَا كَانَتْ ثَلاثَ سِنِينَ ، وَبِهَذَا يَتَّضِحُ أَنَّ العَقْدَ عَلَيْهَا كَانَ بَعْدَ وَفَاةِ خَدِيجَةَ بِزَمَنٍ يَسِيرٍ .

الأُولَىٰ مِنَ الهِجْرَةِ (١) ، وَهِيَ بِنْتُ تِسْعٍ .

فَعَنْ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - قَالَتْ : « تَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - فِي شَوَّالٍ ، وَبَنَىٰ بِي فِي شَوَّالٍ ، فَأَيُّ نِسَاءِ رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - كَانَ أَحْظَىٰ عِنْدَهُ مِنِّي ؟! » (٢) .

قَالَ : وَكَانَتْ عَائِشَةُ تَسْتَحِبُّ أَنْ تُدْخِلَ نِسَاءَهَا فِي شَوَّالٍ (٣) .

---

(١) قَالَ الحَافظ في « الفَتْح » (٧/ ٦٣٠) : « وَإِذَا ثَبَتَ أَنَّهُ بَنَىٰ بِهَا فِي شَوَّالٍ مِنَ السَّنَةِ الأُولَىٰ مِنَ الهِجْرَةِ ، قَوِيَ قَوْلُ مَنْ قَالَ : إِنَّهُ دَخَلَ بِهَا بَعْدَ الهِجْرَةِ بِسَبْعَةِ أَشْهُرٍ ، وَقَدْ وَهَّاهُ النَّوَوِيُّ فِي « تَهْذِيبِه » ، وَلَيْسَ بِوَاهٍ إِذَا عَدَدْنَاهُ مِنْ رَبِيعٍ الأَوَّلِ ، وَجَزْمُهُ بِأَنَّ دُخُولَهُ بِهَا كَانَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ يُخَالِفُ مَا ثَبَتَ - كَمَا تَقَدَّمَ - أَنَّهُ دَخَلَ بِهَا بَعْدَ خَدِيجَةَ بِثَلاثِ سِنِينَ » .

(٢) قَالَ النَّوَوِيُّ فِي « شَرْح مُسْلِم » (ح ١٤٢٣) : « قَصَدَتْ عَائِشَةُ بِهَذَا الكَلامِ رَدَّ مَا كَانَت الجَاهِلِيَّةُ عَلَيْه ، وَمَا يَتَخَيَّلُهُ بَعْضُ العَوَامِّ اليَوْمَ مِنْ كَرَاهَة التَّزَوُّجِ وَالتَّزْوِيجِ وَالدُّخُولِ فِي شَوَّالٍ ، وَهَذَا بَاطِلٌ لا أَصْلَ لَهُ ، وَهُوَ مِنْ آثَارِ الجَاهِلِيَّةِ ، كَانُوا يَتَطَيَّرُونَ بِذَلِكَ ؛ لِمَا فِي اسْمِ شَوَّالٍ مِنَ الإِشَالَةِ وَالرَّفْعِ » .

(٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِم (١٤٢٣/ ٧٣) .

وعَنْهَا - أَيْضاً - قَالَتْ : « تزوَّجها رسُولُ اللّٰه - ﷺ - وَهِي بِنْتُ ستٍّ[١] ، وبَنَىٰ بها وَهِي بِنْتُ تِسْعٍ ، ومَاتَ عنْهَا وَهِي بِنْتُ ثَمانَ عَشرَةَ »[٢] .

---

(١) وَرَدَتْ فِي « صَحِيحِ مُسْلِمٍ » روَايَتَان : هَذه ، والثَّانيَةُ : « تَزَوَّجَهَا وَهِيَ بِنْتُ سَبْعِ سِنِيْن » . والجَمْعُ بَيْنَهُمَا : أَنَّهَا كَانَتْ أَكْمَلَتْ السَّادسَةَ ، ودَخلَتْ فِي السَّابعَة تَقرِيْبًا ، عَلَىٰ أَنَّ الإِمَام النَّوَوِيَّ فى « تَهْذِيْبه » (٢ / ٣٥١) رَجَّحَ الأُولَىٰ .

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلم (١٤٢٢ / ٧٢) ، وأَخرجَهُ البُخَاريُّ (٣٨٩٤) بدُون لَفْظِ : « وَمَاتَ عَنْهَا » .

قِصَّةُ الزَّوَاجِ المُبَارَكِ

عَنْ أَبِي سَلَمَةَ وَيَحْيَىٰ قَالاَ : قَالَتْ عَائِشَةُ : لَمَّا هَلَكَتْ خَدِيجَةُ ، جَاءَتْ خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ امْرَأَةُ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ ،قَالَتْ: يا رَسُول الله،أَلا تَتَزَوَّجُ؟ . قَالَ : « مَنْ ؟ » قَالَتْ : إِنْ شِئْتَ بِكْرًا وإِنْ شِئْتَ ثَيِّبًا . قَالَ : فَمَنِ البِكْرُ ؟ » . قَالَتْ : ابْنَةُ أَحَبِّ خَلْقِ اللهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ إِلَيْكَ ، عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ ، قَالَ : « وَمَنِ الثَّيِّبُ ؟ » ، قَالَتْ : سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ ، آمَنَتْ بِكَ ، واتَّبَعَتْكَ عَلَىٰ مَا تَقُولُ . قَالَ : « فَاذْهَبِي فاذْكُرِيهِمَا عَلَيَّ » ، فَدَخَلَتْ بَيْتَ أَبِي بَكْرٍ فَقَالَتْ : يَا أُمَّ رُومَانَ مَاذَا أَدْخَلَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ عَلَيْكُمْ مِنَ الخَيْرِ والبَرَكَةِ ؟! . قَالَتْ : وَمَا ذَاكَ ؟ ، قَالَتْ : أَرْسَلَنِي رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ أَخْطُبُ عَلَيْهِ عَائِشَةَ .قَالَتْ :

انتَظَري أَبَا بَكْرٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ ، فَقَالَتْ : يَا أَبَا بَكْرٍ ، مَاذَا أدخَلَ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - عَلَيْكُمْ مِنَ الخَيْرِ والبَرَكَة ؟!. قَالَ : وَمَا ذَاكَ ؟ ، قَالَتْ : أَرْسَلَني رَسُولُ اللهِ - ﷺ - أَخْطُبُ عَلَيْه عَائشَةَ . قَالَ : وَهَلْ تَصْلُحُ لَهُ ؟ ، إِنَّمَا هِيَ ابْنَةُ أَخِيْه [١] .

فَرَجَعْتُ إِلىٰ رَسُول اللهِ - ﷺ - فَذَكَرتُ ذَلكَ لَهُ، قَالَ : « **ارْجِعي إِلَيْه ، فَقُولِي لَهُ : أَنَا أَخُوكَ وَأَنْتَ أَخِي فِي الإِسْلامِ ، وابْنَتَك تَصْلُحُ لِي** » .

فَرَجَعْتُ فَذَكَرتُ ذَلكَ لَهُ ، قَالَ : انْتَظِري ، وَخَرَجَ .

قَالَتْ أُمُّ رُومَانَ : إِنَّ مُطْعِمَ بْنَ عَدِيٍّ قَدْ كَانَ ذَكَرَهَا عَلَىٰ ابنِه ، فَوَاللهِ، مَا وَعَدَ وَعْدًا - قَطُّ - فَأَخْلَفَهُ

---

(١) كَانَ نظَامُ التآخي الجَاهليُّ قَائمًا عَلَىٰ تَسَاوي الأُخُوَّة المُدَّعَاة مَعَ أُخُوَّة النَّسَب والرَّضَاع الحَقيْقيَّة ؛ فَكَانُوا يُحَرِّمُونَ عَلَىٰ أنْفُسِهِم الزَّوَاجَ بِابْنَةِ أَخِيْهِم المَزْعُومِ .

لأَبي بَكْرٍ ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ عَلَىٰ مُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ ، وَعِنْدَهُ امْرَأَتُه أُمُّ الفَتَىٰ ، فَقَالَتْ : يَا بْنِ أَبِي قُحَافَةَ ، لَعَلَّكَ مُصْبِيءُ (١) صَاحِبِنا ، مُدْخِلُهُ فِي دِينِكَ الَّذي أَنْتَ عَلَيْهِ ، إِنْ تَزَوَّجَ إِلَيْكَ .

قَالَ أَبُو بَكْرٍ لِلمُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ : أَقُوْلَ هَذَا تَقُولُ؟ .
قَالَ : تَقُولُ ذَلِكَ .

فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ ، وَقَدْ أَذْهَبَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ مَا كَانَ فِي نَفْسِهِ مِنْ عِدَتِهِ الَّتِي وَعَدَهُ ، فَرَجَعَ مِنْ عِنْدِهِ فَقَالَ لِخَوْلَةَ : ادْعِي لِي رَسُولَ اللهِ ـ ﷺ ـ فَدَعَتْهُ ، فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ ، وَعَائِشَةَ يَوْمَئِذٍ بِنْتُ سِتِّ سِنِين .

ثُمَّ خَرَجَتْ فَدَخَلَتْ عَلَىٰ سَوْدَةَ . . . .

قَالَتْ عَائِشَةُ : فَقَدِمْنَا المَدِيْنَةَ (٢) ، فَنَزَلْنَا فِي بَنِي

(١) مُصْبِئُ صَاحِبنَا : مُخرِجُهُ مِنْ دِيْنِه إِلىٰ دِيْنِكَ .
(٢) أَيْ : قَدِمَتْ هِي وَأُمُّهَا ، وَأُمُّ أَبِي بَكْرٍ ، وَأُخْتُهَا أَسْمَاءُ ، وَأَمَّا أَبُوهَا فَقَدِمَ قَبْلَ ذَلِكَ مَعَ النَّبِيِّ ـ ﷺ ـ .

الحَارِثْ بْنِ الخَزْرَجِ فِي السُّنْح [١] ، قَالَتْ : فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ - فَدَخَل بَيْتَنَا ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْه رِجَالٌ وَنِسَاءٌ ، فَجَاءَتْ بِي أُمِّي ، وإِنِّي لَفِي أُرْجُوحَة [٢] بَيْنَ عَذْقَيْنِ [٣] تَرْجُحُ [٤] بِي ، فَأَنْزَلَتْنِي مِنَ الأُرْجُوحَة وَلِي جُمَيْمَة [٥] ، فَفَرقَتْها وَمَسَحَتْ وَجْهِي بِشَيْءٍ مِنْ مَاءٍ ، ثُمَّ أَقبَلَتْ تَقُودُنِي ، حَتَّىٰ وَقَفَتْ بِي عِنْدَ البَاب ، وإِنِّي لأَنْهَجُ [٦] حَتَّىٰ سَكَنَ مِنْ نَفَسِي ثُمَّ دَخَلَتْ بِي ،

(١) السُّنْح - بالضَّمِّ - : مَوْضِعٌ بِعَوَالِي المَدِينَة ، فِيه مَنَازِلُ أَصْهَارِ أَبَا بَكْرٍ بَنِي الحَارِثِ بْنِ الخَزْرَج ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَنْزِلِ النَّبِيِّ - ﷺ - مِيلٌ « يَاقُوت » .

(٢) الأُرْجُوحَة - بالضَّمِّ - : مَعْرُوفَة ، وَهِيَ خَشَبَةٌ يَلعبُ عَلَيْهَا الأطفَالُ يُوضَعُ وَسَطُهَا عَلَىٰ مَكَانٍ مُرتَفِعٍ ، وَيَجلِسُونَ عَلَىٰ طَرَفَيْهَا وَيُحَرِّكُونَهَا ، فَيرتَفِعُ جَانِبٌ مِنْهَا ، وَيَنْزِلُ جَانِبٌ .

(٣) العَذْق - بالفَتْح - : النَّخْلَة تَحْمِلُهَا ، والجَمْع أَعْذُقٌ ، وَعِذاقٌ .

(٤) تَرْجُح : تَمِيلُ .

(٥) جُمَيْمِية : تَصْغِيرُ جُمَّة - بالضَّمِّ - وَهِيَ الشَّعَرُ إِذَا نَزَلَ إِلَىٰ المَنْكِبَيْنِ ، فَإِذَا كَانَ إِلَىٰ شَحْمَة الأُذُنَيْنِ قِيلَ لَهُ : وَفْرَةٌ .

(٦) النَّهجُ : تَتَابع النَّفَسِ مِنْ شِدَّةِ الحَرَكَة ، وَبَابُهُ فَرِحَ ، وَضَرَب .

فَإِذَا رَسُولُ اللهِ - ﷺ - جَالِسٌ عَلَىٰ سَرِيرٍ فِي بَيْتِنَا وَعِنْدَهُ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ مِنَ الأَنْصَارِ ، فَأَجْلَسَتْنِي فِي حِجْرِهِ، ثُمَّ قَالَتْ : هَؤُلَاءِ أَهْلُكَ فَبَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهِم ، وبَارَكَ لَهُمْ فِيكَ .

فَوَثَبَ (١) الرِّجَالُ والنِّسَاءُ فَخَرَجُوا ، وَبَنَىٰ بِي رَسُولُ اللهِ - ﷺ - فِي بَيْتِنَا ، مَا نُحِرَتْ عَلَيَّ جَزُورٌ (٢) وَلَا ذُبِحَتْ عَلَيَّ شَاةٌ ، حَتَّىٰ أَرسَلَ إِلَيْنَا سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ بِجَفْنَةٍ (٣) ، كَانَ يُرْسِلُ بِهَا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ - ﷺ - إِذَا دَارَ عَلَىٰ نِسَائِهِ، وَأَنَا يَوْمَئِذٍ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ (٤) .

---

(١) الوُثُوب : النُّهُوض والقِيَام .

(٢) الجَزُور : يَقَع عَلَىٰ الذَّكَر والأُنْثَىٰ مِنَ الإبل، وَهِيَ تُؤنَّث، وإِنْ أَردتَ ذكَرًا ، والجَمْعُ جَزَائِرُ ، وجُزُرٌ ، وجُزُراتٌ جَمْعُ الجمعِ كَطُرُقٍ وطُرُقَات .

(٣) الجَفْنَة - بالفَتْح - الصَّحْفة العَظِيْمَة ، والجَمْعُ جِفانٌ ، وَجِفَنٌ - بزِنَة عِنَب ، وَفَنَاتٌ ، بالتَّحريك - .

(٤) « حَسَنٌ » أخْرَجَهُ الإمَام أَحْمَدُ فِي « المُسْنَد » (٢٥٧٦٩) ، والطَّبَرانِيُّ فِي « الكَبِيْر » (٢٣ / ٢٣-٢٤) ، وَحَسَّنَهُ الحَافظ في

وَفِي رِوَايَةٍ : قَالَتْ عَائِشَةُ : « فَقَدِمْنَا المَدِينَةَ ، فَوُعِكْتُ [١] شَهْرًا ، فَوَفَىٰ [٢] شَعْرِي جُمَيْمَةً ، فَأَتَتْنِي أُمُّ رُومَانَ وَأَنَا عَلَىٰ أُرْجُوحَةٍ ، وَمَعِي صَوَاحِبِي، فَصَرَخَتْ بِي فَأَتَيْتُهَا ، وَمَا أَدْرِي مَا تُرِيدُ بِي ، فَأَخَذَتْ بِيَدِي ، فَأَوْقَفَتْنِي عَلَىٰ البَابِ ، فَقُلْتُ: هَهْ هَهْ [٣] ، حَتَّىٰ ذَهَبَ نَفَسِي، فَأَدْخَلَتْنِي بَيْتًا ، فَإِذَا نِسْوَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ ، فَقُلْنَ : عَلَىٰ الخَيْرِ والبَرَكَةِ ، وَعَلَىٰ خَيْرِ طَائِرٍ [٤]،فَأَسْلَمَتْنِي إِلَيْهِنَّ ، فَغَسَلْنَ رَأْسِي

= « الفَتْح » (٧ / ٢٢٥) ، والشَّيْخُ شُعَيْبٌ الأرناؤوط فِي تَعْلِيقِهُ عَلَىٰ « المُسْنَد » (٤٢ / ٥٠٤-٥٠٥) .

(١) وُعِكْتُ - بالبِنَاءِ للمَفْعُول - أَصَابَتْنِي الحُمَّىٰ .

(٢) فَوَفَىٰ : أيْ كَمَلَ ، يُقَالُ : وَفَىٰ الشَّيْءُ يفي وُفِيًّا : إِذَا تَمَّ وَكَثُرَ ، والمَعْنَىٰ : صَارَ شَعَرِي إِلى المَنْكِبَيْنِ بَعْدَ أَنْ كَانَ قَدْ ذَهَبَ بالمَرَضِ .

(٣) هَهْ - بفَتْحِ الهَاءِ ، بَعْدَهَا هاءُ السَّكْت - :كَلِمَةٌ يَقُولُهَا المَبْهُورُ « أي : المُتَتَابِعُ نَفَسُهُ » ، حَتَّىٰ يَتَرَاجعَ إِلىٰ حَالِ سُكُونِهِ .

(٤) الطَّائِرُ : الحظُّ والنَّصِيبُ .

وَأَصْلَحْنَنِي ، فَلَم يَرُعْنِي (١) إلا وَرَسُولُ اللهِ - ﷺ - ضُحَىً فَأَسْلَمْنَنِي إِلَيْهِ » (٢) .



(١) فَلَمْ يَرُعْنِي - مِنْ بَاب قَالَ - أَيْ : لَمْ يُفْزِعْنِي شَيءٌ إلا دُخُولُهُ عَلَيَّ ، كَنَتْ بِذَلِكَ عَن المُفَاجَأَةِ بالدُّخُولِ عَلَىٰ غَيْرِ عَالِمٍ بِذَلِكَ ، فإنَّهُ يُفْزِعُ غَالِبًا .

(٢) أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ (٣٨٩٤)، ومُسْلِمٌ - واللَّفظ له - (١٤٢٢ / ٦٩) .

فَضَائِلُها ـ رضي الله عنها ـ

لِعَائِشَةَ ـ رضي الله عنها ـ مِنَ الفَضَائِلِ مَا لا يُحْصَرُ ، وَهِيَ أَشْهَرُ مِنْ نَارٍ عَلَىٰ عَلَمٍ [١] .

فَمِنْ فَضَائِلِها :

[١] مَجِيءُ جِبْرِيلَ ـ عليه السلام ـ النَّبِيَّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ بِصُورَتِها ، وإِخْبَارِهِ بِأَنَّها زَوْجَتُهُ :

فَعَنْ عَائِشَةَ ـ رضي الله عنها ـ قَالَتْ : قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ : **«أُرِيتُكِ فِي المَنَامِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ [٢] ، جَاءَنِي بِكِ المَلَكُ [٣] فِي سَرَقَةٍ [٤] مِنْ حَرِيرٍ ، فَيَقُولُ :**

---

(١) العَلَم : بالتَّحريك ـ الجَبلُ ، والجَمْعُ أعْلامٌ وعلامٌ .

(٢) الأكْثَرُ رَوَوْهُ بِلَفْظ : « مَرَّتَيْنِ » ، وَلَعَلَّهُ الرَّاجِحُ ، فَإِنَّ رُوَايَةَ أَبِي مُعَاوِيَةَ المُفَسَّرَةَ عِنْدَ البُخَارِيِّ (٧٠١٢) تُؤَكِّدُهُ وَتُؤَيِّدُهُ .

(٣) وَقَعَ في رُوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ (٣٨٨٠) وَغَيْرِهِ أَنَّ المَلَكَ الَّذِي جَاءَ النَّبِيَّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ بِصُورَتِها جِبْرِيلُ .

(٤) السَّرَقَة ـ بالتَّحريك ـ القِطْعة ، أيْ : يُريهِ صُورَتَها فيها .

هَذه امْرَأَتُك ، فَأكْشفُ عَن وَجْهك (١)، فإذَا هيَ أنْت ، فأقُولُ : إنْ يَكُ هَذَا منْ عنْد الله يُمْضه (٢)» (٣) .

---

(١) وَفي رُوَايَة للبُخَارِيِّ : « فَقُلتُ لَهُ : اكْشفْ » ، وَيَجْمَعُ هَذَا الإخْتلاف : أنَّ نسْبَةَ الكَشْف إلَيْه لكَونه الآمر به ، وَأنَّ الَّذي بَاشَرَ الكَشْفَ هُوَ جبْريلُ - عَلَيْهِ السَّلامُ - .

(٢) قَوْلُهُ : « إنْ يَكُ . . . » ذَكَرَ لتَفْسيرهُ عيَاضٌ ثَلاثَةَ احْتمَالات، والاحْتمَالُ الَّذي اعْتَمَدَهُ الحَافظُ منْهَا، أوْ هيَ رُؤْيَا وَحْي لَهَا تَعْبيرٌ؟، وَكلا الأمْرَيْن جَائزٌ في حَقِّ الأنْبيَاء. انْظُر: « الفَتْح » (١٠ / ٢٢٨) .
وَمَا ذَهَبَ إلَيْه ابْنُ بطَّال وَغَيْرُهُ منْ أنَّ هذه الرُّؤْيَة قَبْلَ أنْ يُوحَىٰ إلَيه يَرُدُّهُ أنَّ السِّيَاقَ يَقْتَضي أنَّهَا كَانَتْ قَدْ وُجدَتْ ؛ فَإنَّ ظَاهرَ قَوْله : فَإذَا هيَ أنْت » مُشْعرٌ بأنَّهُ كَانَ قَدْ رَآهَا وَعَرَفَهَا قَبْلَ ذَلكَ ، والوَاقعُ أنَّهَا وُلدَتْ بَعْدَ البعْثَة. ذَكَرَهُ الحَافظُ في « الفَتْح » (١٠ / ٢٢٨) ، نَقلاً عَنْ السُّهَيْليِّ .
وَيَرُدُّهُ - أيْضًا - رُوَايَةُ حَمَّاد بْن سَلَمَةَ : « أُتيتُ بجَاريَة في سَرَقَة منْ حَريرٍ بَعْدَ وَفَاة خَديْجَةَ ، فَكَشَفْتُهَا، فَإذَا هيَ أنت » انْظُر : « الفَتْح » (١٤ / ٤٣٢).

(٣) رَوَاهُ البُخَاريُّ (٥١٢٥) .

[٢] أنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - ابْتَكَرَهَا (١) دُونَ سَائِرِ نِسَائِهِ:

فَعَنْ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - قَالَتْ: قُلْتُ: يا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ لَوْ نَزَلْتَ وَادِيًا، وَفِيهِ شَجَرَةٌ قَدْ أُكِلَ مِنْهَا، وَوَجَدْتَ شَجَرًا لَمْ يُؤْكَلْ مِنْهَا، فِي أَيِّهَا كُنْتَ تُرْتِعُ بَعِيرَكَ؟.

قَالَ: « **فِي الَّذِي لم يُرْتَعْ مِنْهَا** » يَعْنِي أَنَّ رَسُولَ اللهِ - ﷺ - لَمْ يَتَزَوَّجْ بِكْرًا غَيْرَهَا (٢).

[٣] أَنَّهَا زَوْجُ النَّبِيِّ - ﷺ - فِي الجَنَّةِ:

عَنْ عَائِشَةَ - رضي الله عنها -: أَنَّ رَسُولَ اللهِ - ﷺ - ذَكَرَ فَاطِمَةَ - رضي الله عنها -، قَالَتْ: فَتَكَلَّمْتُ أَنا، فَقَالَ: « **أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي زَوْجَتِي فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ؟** ». قُلْتُ: بَلَىٰ واللهِ. قَالَ: « **فَأَنْتِ زَوْجَتِي فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ** » (٣).

---

(١) ابْتِكَارُ الجَارِيَةِ: أَخْذُ عُذْرَتِهَا « أَيْ: بَكَارَتِهَا ».

(٢) أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ (٥٠٧٧).

(٣) « صَحِيحٌ » أَخْرَجَهُ الحَاكِمُ فِي « المستدرك » (٤ / ١٠)، وصَحَّحَهُ وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ، وصَحَّحَهُ - أيضًا - الأَلْبَانِيُّ فِي « الصَّحِيحَة » (٣٠١١).

وَعَنْهَا ـ أَيْضًا ـ قَالَتْ : قُلتُ : يا رسولَ اللهِ ، مَنْ أَزْوَاجُكَ فِي الجَنَّة ؟ .

قَالَ : « **أَمَا إِنَّكِ منْهُنَّ** » قَالَتْ : فَخُيِّلَ إِليَّ أَنَّ ذَلِكَ ؛ لأَنَّهُ لَمْ يَتَزَوَّجْ بِكْرًا غَيْرِي [١]. [٢].

[٤] سَلامُ جِبْرِيلَ ـ عليه السلام ـ عَلَيْهَا :

فَعَنْ عَائِشَةَ ـ رضي الله عنها ـ قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ يَوْمًا : « **يا عَائِشُ [٣]، هَذَا جِبْرِيلُ**

---

(١) قَالَ المنَاوِي : « لَعَلَّ المُرَادَ : أَنَّهَا كَانَتْ أَحَبَّ زَوْجَاته إِلَيْه ، أيْ : فِي الجَنَّةِ كَمَا كَانَتْ أَحَبَّهُنَّ إِلَيْهِ فِي الدُّنْيا ، وإلا فَزَوْجَاتُهُ كُلُّهُنَّ فِي الجَنَّة » .

(٢) « حَسَنٌ » أخْرَجَهُ الحَاكِمُ فِي المُسْتَدرَك » (٤ / ١٣) ، وابن حبَّانَ في « مَوارد الظَّمآن » (٧٠٥٤) ، وَحَسَّنَهُ الألبانيُّ فِي « صَحِيْح موارد الظمآن » (١٨٧٦) ، و« الصَّحِيْحَة » (٣٠١١) .

(٣) اسْتَنْبَطَ بَعْضُ العُلَمَاء منْ هَذا الحَديْث فَضْلَ خَديْجَةَ عَلَىٰ عائشَةَ ؛ لأنَّ عَائشَةَ سَلَّمَ عَلَيْهَا جِبْرِيلُ مِنْ قِبَلِ نَفْسِه ، وخَديْجَةُ أَبلَغَهَا السَّلامَ منْ رَبِّهَا .
ولا شَكَّ أَنَّهُمَا ـ أَعْني خَديْجَةَ وَعَائشَةَ ـ أَفْضَلُ أزْوَاجه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وَلِلعُلَمَاءِ فِي التَّفْضِيْل بيْنَهُمَا أقْوَالٌ ، ثَالثُهُمَا الوَقْفُ .

يُقْرِئُكِ السَّلامَ(١).

[٥] تحري المسلمين بهداياهم يومها، ونزول الوحي على النبي - ﷺ - في ثوبها دون سائر نسائه:

فَعَنْ عَائشَةَ - رضي الله عنها - أنَّ نِسَاءَ رَسُولِ ﷺ كُنَّ حِزْبَيْنِ: فَحِزْبٌ فِيه: عَائشَةُ، وَحَفْصَةُ، وصَفيَّةُ، وَسَوْدَةُ. وَالحِزْبُ الآخَرُ: أُمُّ سَلَمَةَ، وَسَائِرِ نِسَاءِ(٢)

والحَقُّ في ذَلكَ إلىٰ اللهِ - عزَّ وَجلَّ -؛ فَلا يَلْزَمُ مِنْ ثُبُوت خُصُوصيَّة شَيء مِنَ الفَضَائل ثُبُوتُ الفَضْلِ المُطْلَق كَحَديث: « أقْرَؤُكُمْ أُبَيٌّ، وأفْرَضُكُم زَيْدٌ » وَنَحْو ذَلكَ.

وَأمَّا بَقيَّةُ أزْوَاجه - ﷺ - فمُتَقَاربَاتٌ في الفَضْلِ، وَهُنَّ أفْضَلُ نِسَاء هَذه الأُمَّة بَعْدَ فَاطمَةَ، وَخديْجَة، وَعَائشَةَ - رضي الله عنهن -.

لقَوْله تَعَالَىٰ ﴿ لستن كأحد من النساء إن اتقيتن ﴾ [الأحزاب: ٣٢].

(١) أخْرَجَهُ البُخَاريُّ (٣٧٦٨)، ومُسلم (٢٤٤٧ / ٩٠).

(٢) وَسَائر نسَائه أيْ: بَقيَّتُهُنَّ دُونَ زَيْنَبَ بنْت خُزَيْمَةَ أُمِّ المَسَاكين؛ فَقَدْ قَالَ ابْنُ سَعْد: « مَاتَتْ زَيْنَبُ بنْتُ خُزَيْمَةَ قَبْلَ أنْ يَتزوَّجَ النَّبيُّ - ﷺ - أُمَّ سَلَمَةَ، وأَسْكَنَ أُمَّ سَلَمَةَ بَيْتَهَا لَمَّا دَخَلَ بها » أوْرَدَهُ الحَافظُ في « الفَتْح » (٥ / ٥٢١).

رَسُول اللهِ - ﷺ - .

وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ قَدْ عَلِمُوا حُبَّ رَسُول اللهِ - ﷺ - عَائِشَةَ ؛ فَإِذَا كَانَتْ عِنْدَ أَحَدِهِمْ هَدِيَّةٌ ، يُرِيدُ أَنْ يُهْدِيَهَا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ - ﷺ - أَخَّرَهَا ، حَتَّىٰ إِذَا كَانَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ - فِي بَيْتِ عَائِشَةَ ، بَعَثَ صَاحِبُ الهَدِيَّةِ إِلَىٰ رَسُول اللهِ - ﷺ - فِي بَيْتِ عَائِشَةَ ، فَكَلَّم حِزْبُ أُمِّ سَلَمَةَ ، فَقُلْنَ لَهَا : كَلِّمِي رَسُول اللهِ - ﷺ - يُكَلِّمُ النَّاسَ،فَيَقُولُ: مَنْ أَرَادَ أَنْ يُهْدِيَ إِلَىٰ رَسُولُ اللهِ - ﷺ - هَدِيَّةً ، فَلْيُهْدِهَا حَيْثُ كَانَ مِنْ بُيُوتِ نِسَائِهِ .

فَكَلَّمَتْهُ حِينَ دَارَ إِلَيْهَا - أَيْضًا - فَلَمْ يَقُلْ لَهَا شَيْئًا، فَسَأَلْنَهَا ، فَقَالَتْ : مَا قَالَ لِي شَيْئًا ، فَقُلْنَ لَهَا : كَلِّمِيهِ حَتَّىٰ يُكَلِّمَكَ .

فَدَارَ إِلَيْهَا فَكَلَّمَتْهُ ، فَقَالَ لَهَا : « **لا تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ ؛ فَإِنَّ الوَحْيَ لَمْ يَأْتِينِي وَأَنَا فِي ثَوْبِ امْرَأَةٍ**

إلا عَائشَةَ » .

[وَفِي رُوَايَة: فَقَالَ: « يَا أُمَّ سَلَمَةَ، لا تُؤْذِينِي فِي عَائِشَةَ؛ فَإِنَّهُ - واللهِ - مَا نَزَلَ عَلَيَّ الوَحْيُ وأَنَا فِي لِحَافِ (١) امْرَأَةٍ مِنْكُنَّ غَيْرِهَا (٢) »] (٣) .

قَالَتْ: فَقَالَتْ: أَتُوبُ إِلى اللهِ مِنْ أَذَاكَ يا رسُولَ اللهِ (٤) .

[٦] أَنَّ فَضْلَهَا عَلَىٰ النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ (٥) عَلَىٰ سَائِرِ الطَّعَامِ :

عَنْ أَبِي مُوسَىٰ الأَشْعَرِيِّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ

---

(١) اللِّحَاف - بالكسر - كُلُّ ثَوْبٍ يُتَغَطَّىٰ بِه ، والجَمْعُ لُحُفٌ .

(٢) قَالَ الذَّهَبِيُّ فِي « السِّيَر » (٢ / ١٤٤٣) : « وَهَذَا الجَوابُ مِنْهُ دَالٌّ عَلَىٰ أَنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَىٰ سَائِرِ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِيْن بِأَمْرٍ إِلَهِيٍّ، وَأَنَّ ذَلِكَ الأَمْرَ مِنْ أَسْبَابِ حُبِّهِ لَهَا » .

(٣) للبُخَارِيِّ (٣٧٧٥) .

(٤) أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ (٢٥٨١) ، وأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٤٤١) مُخْتَصَرًا .

(٥) الثَّرِيْد - بِزِنَةِ الأَمِير - الطَّعَام المُتَّخذ مِنَ الخُبْزِ الفَتِيت مَخْلُوطًا بِلَحْمٍ، وَهُوَ أَجَلُّ طَعَامِ العَرَبِ ، كَمَا قَالَ خُلَيْجٌ الأَعْيَونِيُّ :

إِذَا مَا الخُبْزُ تَادِمُهُ بِلَحْمٍ ... فَذَاكَ - أَمَانَةَ اللهِ - الثَّرِيدُ

- ﷺ -: «كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ(١)، وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَىٰ النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَىٰ سَائِرِ الطَّعَامِ(٢)»(٣).

[٧] أَنَّهَا أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْهِ - ﷺ - بَعْدَ أَبِيهَا:

فَعَنْ عَمْرِو بْنِ العَاصِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ - ﷺ -:

---

(١) زَادَ الطَّبرانيُّ، وَأَبُو نَعيْم فِي «الحلْيَة»، والثَّعلَبيُّ فِي «تَفْسِيره»: «وَخَدِيْجَةُ بِنْتُ خُوَيْلد، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّد».

(٢) المَعنىٰ: فَضْلُهَا عَلَىٰ النِّسَاءِ زَائِدٌ كَزِيَادة فَضْلِ الثَّرِيد عَلَىٰ غَيْره مِنَ الأطْعِمَة. وَلَيْسَ فِي هَذَا تَصْرِيحٌ بالأفْضَلِيَّة المُطْلَقَة لَهَا عَلَىٰ مَرْيَمَ، وآسِيَةَ، وَخَدِيْجَةَ، وفَاطِمَةَ، لأنَّ فَضْلَ الثَّرِيد عَلَىٰ سَائِرِ الطَّعَام إِنَّمَا هُوَ لِمَا فِيْه مِنْ تَيْسِير المُؤْنَة، وَسُهُولَة الإِسَاغَة، وأخْذ الكفَايَة مِنْهُ بِسُرعَة، وكُلُّ هَذه الخصَال لا تَسْتَلْزِمُ ثُبُوتَ الأفْضَلِيَّة لَهُ مِنْ كُلِّ جِهَة، فَقَدْ يَكُونَ مَفْضُولاً بالنِّسبَة لِغَيْره مِنْ جِهَات أُخَرَ، وَعَائِشَةُ فَضَلَتْ نِسَاءَ العَالَمِينَ بِعِلْمِهَا، لَكِنَّهَا - مَثَلاً - مَفْضُولَةٌ عَلَىٰ فَاطِمَةَ مِنْ جِهَة شَرَف الأصْلِ، وَمَفْضُولَةٌ - أيْضًا - عَلَىٰ النِّسْوَة الأرْبَع المَذْكُورَات مِنْ جِهَة شَرَف السِّيَادَة لِثُبُوت النَّصِّ لَهُنَّ دُونَ غَيْرِهِنَّ.

(٣) أخْرَجَهُ البُخَارِيُّ (٣٧٦٩)، وَمُسْلِم (٢٤٣١/ ٧٠).

أيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ ، قَالَ : « **عَائِشَةُ** » . قَالَ : « منَ الرِّجَال ؟ » ، قَالَ : « **أَبُوهَا** » (١) ، قُلْتُ : ثُمَّ مَنْ ؟ ، قَالَ : « **عُمَرُ** » . فَعَدَّ رِجَالاً ، فَسَكَتُّ مَخَافَةَ أَنْ يَجْعَلَنِي فِي آخِرِهِمْ (٢) .

---

(١) قَالَ الذَّهَبيُّ فِي « السِّيَر » : « هَذَا خَبَرٌ ثَابِتٌ عَلَىٰ رَغْمِ كُلِّ الرَّوافضُ ، وَمَا كَانَ رَسُولَ اللهِ ﷺ - لِيُحبَّ إِلا طَيِّبًا ، وَقَدْ قَالَ : « **لَوْ كُنْتُ مُتَّخذًا خليلاً منْ هَذه الأُمَّة لاتَّخذْتُ أبا بكرٍ خليلاً ، ولَكنْ أُخُوَّةَ الإسْلام أفْضَلُ** » [أخْرَجَهُ البُخَاريُّ (٣٦٥٤) وَمُسْلم (٢٣٨٢ / ٢) ، عَنْ أَبي سَعيْد الخُدْريِّ ﷺ] ، فَأَحَبَّ أفْضَلَ رَجُلٍ منْ أُمَّته ، وأَفْضَلَ امْرَأَةٍ منْ أُمَّته ، فَمَنْ أبْغَض حَبِيْبَي رَسُول الله - ﷺ - ، فَهُوَ حَرِيٌّ أَنْ يَكُونَ بَغيْضًا إلىٰ الله ورَسُوله ، وَحُبُّهُ - عَلَيْه الصَّلاةُ والسَّلامُ - لعَائشَةَ كَانَ أَمْرًا مُسْتَفيْضًا ؛ ألا تَرَاهُمْ كَيْفَ كَانُوا يَتحَرَّوْنَ بهدَايَاهُمْ يَوْمَهَا تَقَرُّبًا إلىٰ مَرْضَاته ؟!! » اهـ .
قُلْتُ : لَقَد اسْتَقَرَ أمْرُ أبي بَكْرٍ الصِّدِّيق عنْدَ الصَّحَابَة بأنَّهُ أحَبُّ خَلْقِ الله إلىٰ رَسُول الله - ﷺ - ، وقَد اسْتَقَرَ عنْدَهُمْ - أيْضًا - أنَّهُ لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ عَلَىٰ بَشَرٍ - بَعْدَ الأنْبيَاءِ والمُرْسَلين - أفْضَلَ منْهُ ، وَفَضَائلُهُ جَمَّةٌ ، تَفُوقُ الحَصْرَ .
وَذَهَبَ بَعْضُ العُلَمَاء إلىٰ أنَّ عَائشَةَ أفْضَلُ منْ أبيْهَا ، وَهَذَا مَرْدُودٌ ، ذَكَرَهُ الذَّهَبيُّ فِي « السِّيَر » (٢ / ١٤١) .
(٢) أخْرَجَهُ البُخَاريُّ (٤٣٥٨) ، وَمُسْلم (٢٣٨٤ / ٨) .

[٨] حَثُّهُ ـ ﷺ ـ عَلَىٰ حُبِّهَا ، وَحَثُّهُ إيَّاهَا عَلَىٰ انْتِصَارِهَا لِنَفْسِهَا :

عَنْ عَائِشَةَ ـ رضي الله عنها ـ قَالَتْ : أَرْسَلَ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ـ ﷺ ـ فَاطِمَةَ بِنْتَ رَسُولِ اللهِ ـ ﷺ ـ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ـ ﷺ ـ ، فَاسْتَأْذَنَتْ عَلَيْهِ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ مَعِيَ فِي مِرْطِي (١) ، فَأَذِنَ لَهَا، فَقَالَتْ : يا رسولَ اللهِ، إِنَّ أزواجَكَ أَرْسَلْنَنِي إِلَيْكَ يَسْأَلْنَكَ العَدْلَ فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ (٢) .

---

(١) المِرْط ـ بالكَسْرِ ـ كِسَاء مِنْ صُوفٍ ، أَوْ خَزٍّ ، أَوْ كَتَّان ، والجَمْعُ مُرُوطٌ .

(٢) قَالَ النَّوَوِيُّ فِي « شَرح مُسْلِم » (ص١٤٨٢) : (قَوْلُهَا : « يَسْأَلْنَكَ العَدْلُ فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ » مَعْنَاهُ : يَسْأَلْنَكَ التَّسْوِيَةَ بَيْنَهُنَّ فِي مَحبَّةِ القَلْب ، وكَانَ ـ ﷺ ـ يُسَوِّي بَيْنَهُنَّ فِي الأَفْعَال ، والمَبِيْت ، وَنَحْوِه ، وَأَمَّا مَحَبَّةُ القَلْب فَكَانَ يُحِبُّ عَائِشَةَ أَكْثَرَ مِنْهُنَّ ، وَأَجمَعَ المُسلِمُونَ عَلَىٰ أَنَّ مَحَبَّتَهُنَّ لا تَكْلِيفَ فِيهَا ، ولا يَلْزَمُهُ التَّسْوِيَةُ فِيْهَا ؛ لأَنَّهُ لا قُدْرَةَ لأَحَدٍ عَلَيْهَا إِلا للهِ ـ سُبْحَانَه وتَعَالَىٰ ـ ،وَإِنَّمَا يُؤْمَرُ بالعَدْلِ فِي الأَفعَال » . إِلَىٰ أَنْ قَالَ : « فَالمُرَادُ بالحَديْث :طَلَبُ المُسَاوَاة فِي مَحَبَّةِ القَلْب لا العَدْلِ فِي الأَفْعَال، فَإِنَّهُ كَانَ حَاصِلاً قَطْعًا؛ وَلِهَذَا كَانَ يُطَافُ به ـ ﷺ ـ فِي مَرَضِه عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ ضَعُفَ، فَاسْتَأْذَنَهُنَّ فِي أَنْ يَمْرَضَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ ، فَأَذِنَّ لَهُ » .

وَأنَا سَاكِتَةٌ ، قَالَتْ : فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ : « أيْ بُنَيَّةُ ، أَلَسْتِ تُحِبِّيْنَ مَا أُحِبُّ » . قَالَتْ : بَلَىٰ . قَالَ : « فَأحِبِّي هَذِهِ » .

قَالَتْ : فَقَامَتْ فَاطِمَةُ حِينَ سَمِعَتْ ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ـ ﷺ ـ ، فَرَجَعَتْ إِلَىٰ أزْوَاجِ النَّبِيِّ ـ ﷺ ـ ، فَأَخْبَرَتْهُنَّ بِالَّذِي قَالَتْ ، وَبِالَّذِي قَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ فَقُلْنَ لَهَا : مَا نُرَاكِ أَغْنَيْتِ عَنَّا مِنْ شَيْءٍ، فَارْجِعِي إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ـ ﷺ ـ فَقُولِي لَهُ : إِنَّ أزْوَاجَكَ يَنْشُدْنَكَ العَدْلَ [١] ، فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ . فَقَالَتْ فَاطِمَةُ : واللهِ ، لا أُكَلِّمُهُ فِيهَا أَبَدًا ، قَالَتْ عَائِشَةُ : فَأرْسَلَ أزْوَاجُ النَّبِيِّ ـ ﷺ ـ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ زَوْجَ النَّبِيِّ ـ ﷺ ـ وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي [٢] مِنْهُنَّ فِي

---

(١) يَنْشُدْنَكَ العَدْلَ ، أَيْ : يَطْلُبْنَهُ مِنْكَ .

(٢) تُسَامِنِي : تُعَالِينِي وَتُطَاوِلُنِي فِي الحُظْوَةِ ، مُفَاعَلَةٌ مِنَ السُّمُوِّ ، وَهُوَ العُلُوُّ والارتِفَاعِ .

المَنْزِلَة عِنْد رَسُول الله ـ ﷺ ـ ولَمْ أَرَ امْرَأَةً ـ قَطُّ ـ خَيْرًا فِي الدِّيْنِ مِنْ زَيْنَبَ ، وَأَتْقَىٰ لله ، وَأَصْدَقَ حَدِيْثًا ، وَأَوْصَلَ لِلرَّحِمِ ، وَأَعْظَمَ صَدَقَةً ، وَأَشَدَّ ابْتِذَالاً (١) لِنَفْسِهَا فِي العَمَلِ الَّذي تَصَدَّقُ بِه وَتَقَرَّبُ بِه إِلىٰ الله ـ تَعَالَىٰ ـ مَا عَدَا سَوْرَةً (٢) مِنْ حِدَّةٍ (٣) كَانَتْ فِيْهَا ، تُسْرِعُ مِنْهَا الفَيْئَةَ (٤) .

قَالَتْ : فاسْتَأْذَنَتْ عَلَىٰ رَسُولِ الله ـ ﷺ ـ وَرَسُولُ الله ـ ﷺ ـ مَعَ عَائِشَةَ فِي مُرْطِهَا عَلَىٰ الحَالَةِ الَّتِي دَخَلَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا وَهُوَ بِهَا ، فَأَذِنَ لَهَا رَسُولُ الله

---

(١) الابْتِذَال : الامتِهَانُ وَتَرْكُ الصِّيَانَة .

(٢) سَوْرَةَ الغَضَب : بالفَتْحِ ـ : وُثُوبُهُ وَثَوَرَانُهُ .

(٣) الحِدَّة ـ بالكَسْرِ ـ : الغَضَب وَشِدَّةَ الخُلُق ، يُقَالُ : حَدَدْتُ عَلَيْه ـ بالفَتْح ـ أَحِدُّ ـ بالكَسْرِ ـ حِدَّةً وَحَدًّا ـ بالفَتْح ـ .

(٤) الفَيْئَة : كَالرَّجْعَة زِنَةً وَمَعْنَىٰ . والمَعْنَىٰ : أَنَّهَا كَامِلَةُ الأَوْصَاف ، إلا أَنَّ فِيْهَا شِدَّةَ خُلُقٍ وَسُرْعَةَ غَضَبٍ ، تُسْرِعُ مِنْهَا الرَّجْعَةُ إِذَا وَقَعَتْ مِنْهَا ، وَلاَ تُصِرُّ عَلَيْهَا .

ـ ﷺ ـ فَقَالَتْ : يا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّ أَزْوَاجَكَ أَرْسَلْنَنِي إِلَيْكَ يَسْأَلْنَكَ العَدْلَ فِي ابْنَةِ أَبِي قُحَافَةَ .

قَالَتْ : ثُمَّ وَقَعَتْ بِي ، فَاسْتَطَالَتْ عَلَيَّ (١) ، وَأَنَا أَرْقُبُ (٢) رَسُولَ اللهِ ـ ﷺ ـ وَأَرْقُبُ طَرْفَهُ (٣) ، هَلْ يَأْذَنُ لِي فِيهَا ؟ .

قَالَتْ : فَلَمْ تَبْرَحْ (٤) زَيْنَبُ ، حَتَّىٰ عَرَفْتُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ـ ﷺ ـ لا يَكْرَهُ أَنْ أَنْتَصِرَ .

قَالَتْ : فَلَمَّا وَقَعْتُ بِهَا لَمْ أَنْشَبْهَا (٥) حَتَّىٰ

---

(١) اسْتَطَالَتْ عَلَيَّ : اسْتَحْقَرَتْنِي وَتَرَفَّعَتْ عَلَيَّ .

(٢) أَرْقُب ـ بالضَّمِّ ـ : أَنْتَظِرُ وَأَرْصُدُ .

(٣) الطَّرْفُ : العَيْن ، لا يُثَنَّىٰ ولا يَجمَعُ ؛ لأَنَّهُ فِي الأَصْلِ مَصْدَرٌ ؛ فَيَكُون وَاحِداً وَجَمْعًا ، قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ لا يرتدُّ إليهم طرفُهم ﴾ [إبراهيم :٤٣] .
وَأَصْلُ الطَّرْف : تَحْرِيكُ الأَجْفَان ، يُقَالُ : شَخَصَ بَصَرُهُ فَمَا يَطْرِفُ ، وَبَابُهُ ضَرَبَ ، سُمِّيت العَيْنُ طَرْفًا ؛ لأَنَّه يَكُونُ بِهَا .

(٤) فَلَمْ تَبْرَح ـ من بَابِ سَمِعَ ـ أَيْ : لَمْ تَزَلْ .

(٥) لم أَنْشَبْهَا ـ بالفَتْح ـ أَيْ : لم أُمْهِلْهَا .

أَنْحَيْتُ عَلَيْهَا (١) .

قَالَتْ : فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ وَتَبَسَّمَ : « إِنَّهَا ابْنَةُ أَبِي بَكْرٍ (٢) » (٣) .

وَفِي رُوَايَةٍ : قَالَتْ عَائِشَةُ : مَا عَلِمْتُ حَتَّىٰ دَخَلَتْ عَلَيَّ زَيْنَبُ بِغَيْرِ إِذْنٍ ، وَهِيَ غَضْبَىٰ ، ثُمَّ قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللهِ ، أَحَسْبُكَ (٤) إِذَا قَلَبَتْ لَكَ بُنَيَّةُ أَبِي بَكْرٍ ذُرَيْعَتَيْهَا (٥) ؟! .

ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيَّ ، فَأَعْرَضْتُ عَنْهَا ، حَتَّىٰ قَالَ النَّبِيُّ

---

(١) أَنْحَيْتُ عَلَيْهَا أيْ : اعْتَمَدْتُهَا بِالْمُعَارَضَةِ وَقَصَدْتُهَا .

(٢) مَعْنَاهُ : أَنَّهَا شَرِيفَةٌ عَاقِلَةٌ عَارِفَةٌ كَأَبِيهَا ، كَأَنَّهُ ـ ﷺ ـ أَشَارَ إِلَىٰ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ عَالِمًا بِمَنَاقِبِ مُضَرَ وَمَثَالِبِهَا ، فَلا يُسْتَغْرَبُ مِنْ بِنْتِهِ تَلَقِّي ذَلِكَ عَنْهُ .

(٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِم (٢٤٤٢ / ٨٣) .

(٤) أَحَسْبُكَ : أَكَافِيكَ .

(٥) ذُرَيْعَتَيْهَا : مُثَنَّىٰ ذُرَيْعَةٍ ، وَهِيَ تَصْغِير ذِرَاعٍ .

- ﷺ - : « **دُونَك [١] فانْتَصري** » .

فَأَقْبَلْتُ عَلَيْهَا ، حَتَّىٰ رَأَيْتُهَا وَقَدْ يَبس رِيقُهَا فِي فِيهَا ، مَا تَرُدُّ عَلَيَّ شَيْئًا ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ - ﷺ - يَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ [٢] [٣] .

[٩] دُعاؤُه - ﷺ - لها :

عَنْ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - قَالَتْ : لَمَّا رَأَيْتُ مِنَ النَّبِيِّ - ﷺ - طِيبَ نَفْسٍ ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ - ﷺ - ، ادْعُ اللهَ لِي . فَقَالَ : « **اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَائِشَةَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهَا وَمَا تَأَخَّرَ ، وَمَا أَسَرَّتْ وَمَا أَعْلَنَتْ** » . فَضَحِكَتْ عَائِشَةُ ، حَتَّىٰ سَقَطَ رَأْسُهَا فِي حِجْرِهَا مِنَ الضَّحِكِ .

---

(١) دُونَك : إغراءٌ .

(٢) يَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ : يُشْرِقُ وتَظْهَرُ عَلَيْه أَمَارَاتُ السُّرور .

(٣) أخْرَجَهُ الإمَام أحْمَد (٦ / ٩٣) ، وابْنُ مَاجَهْ (١٩٨١) ، وصَحَّحَهُ الألْبَاني في « الصَّحِيحَة » (١٨٦٢) ، و« صَحِيحُ الجَامِعُ » (٣٣٩٣) .

قَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ: «**أَيَسُرُّكِ دُعَائِي؟**» قَالَتْ: وَمَا لِي لا يَسُرُّنِي دُعَاؤُكَ؟! ، فَقَالَ: « **واللهِ ، إِنَّهَا لَدُعَائِي لِأُمَّتِي فِي كُلِّ صَلاةٍ** »(١) .

[١٠] تَخْصِيصُهُ ـ ﷺ ـ إيَّاها بالمُسَايَرة في السَّفَرِ:

عَنْ عَائِشَةَ ـ رضي الله عنها ـ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ إِذَا خَرَجَ أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِه ، فَطَارَتْ(٢) القُرْعَةُ عَلَىٰ عَائِشَةَ وَحَفْصَةَ ، فَخَرَجَتَا مَعَهُ جَمِيعًا، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ إِذَا كَانَ بِاللَّيْلِ سَارَ مَعَ عَائِشَةَ يَتَحَدَّثُ مَعَهَا(٣)، فَقَالَتْ حَفْصَةُ لِعَائِشَةَ: أَلا تَرْكَبِينَ اللَّيْلَةَ بَعِيرِي ، وَأَرْكَبُ بَعِيرَكِ ، فَتَنْظُرِينَ وَأَنْظُرُ ؟. قَالَتْ:

---

(١) أخْرَجَهُ ابْن حبَّانَ في « مَوارِدُ الظَّمآن » (٧٠٦٧) ، وَحَسَّنَهُ الألبانيُّ في « الصَّحِيحَةَ » (٢٢٥٤) .

(٢) فَطَارَتْ أيْ : خَرَجَتْ لَهُمَا وَحَصَلتْ ي نَصيبهمَا .

(٣) إنَّما خَصَّ ـ ﷺ ـ عَائِشَةَ بالمُسَايَرَة دُونَ حَفْصَةَ ؛ لأنّه عِمَادَ القَسَم اللَّيْلُ فِي الحَضَرِ ، وَأمَّا في السَّفَرِ فَعِمادُ القَسَم فِيه النُّزُولُ ، وَأمَّا حَالَةُ السَّيْرِ فَلَيْسَتْ مِنْهُ لا لَيْلاً ولا نَهارًا .

بَلَىٰ (١) . فَرَكِبَتْ عَائِشَةُ عَلَىٰ بَعِيرِ حَفْصَةَ ، وَرَكِبَتْ حَفْصَةُ عَلَىٰ بَعِيرِ عَائِشَةَ ، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ إِلَىٰ جَمَلِ عَائِشَةَ وَعَلَيْهِ حَفْصَةُ ، فَسَلَّمَ ثُمَّ سَارَ مَعَهَا ، حَتَّىٰ نَزَلُوا ، فَافْتَقَدَتْهُ عَائِشَةَ (٢) فَغَارَتْ، فَلَمَّا نَزَلُوا ، جَعَلَتْ تَجْعَلُ رِجْلَيْهَا بَيْنَ الإِذْخِرِ (٣) ، وَتَقُولُ: يَارَبِّ،سَلِّطْ عَلَيَّ عَقْرَبًا أَو حَيَّةً تَلْدَغُنى (٤) ، رَسُولُكَ

كَأَنَّ عَائِشَةَ أَجَابَتْ إِلَىٰ ذَلِكَ ؛ لما شَوَّقَتْهَا إِلَيْهِ مِنَ النَّظرِ إِلى مَا لَم تَكُن هِيَ تَنْظُرُ،وهَذَا مُشْعِرٌ بأَنَّهُما لَمْ يَكُونَا حَالَ السَّير مُتَقَارِبَتَيْنِ، بَلْ كَانَتْ كُلُّ واحِدَةٍ مِنْهُمَا مِنْ جِهَةٍ ، كَمَا جَرَت العَادَةُ مِنَ السَّيرِ قِطَارَيْنِ ، وإِلا فلو كَانَتَا مَعًا لَمْ تَخْتَصَّ إِحداهُمَا بِنَظرِ مَا لَم تَنْظُرهُ الأُخْرَىٰ .

أيْ : حَالَةَ المُسَايَرَةِ ؛ لأَنَّ قَطْعَ المألُوف صَعْبٌ .

الإِذْخِر ـ بِكَسْرِ الهَمْزَةِ والخَاء ، بَيْنَهُمَا ذالٌ سَاكِنَةٌ ـ نَبْتٌ عُشْبِيٌّ مُعَمَّرٌ ، ذُو رَائِحَةٍ عِطْرِيَّةٍ ذَكِيَّةٍ ، وَيُعْتَبَرُ مِنَ النَّبَاتَاتِ الصَّحْرَاوِيَّةِ مِنَ الدَّرَجَةِ الأُولَىٰ تُوجَد فِيْه الهَوَامُّ غَالبًا ، يُعْرَفُ فِي اليَمَنِ باسم مَحَاجٍ ، وَتُعْتَبَرُ السُّعُودِيَّةُ أَهَمَّ مَوطِنه .

) كَأَنَّهَا لَمَّا عَرَفَتْ أَنَّهَا الجَانِيةَ عَلَىٰ نَفْسِهَا فِيمَا أَجَابَتْ إِلَيْهِ حَفْصَةَ ، لَمْ تَتَعَرَّضْ لَهَا ، وَعَادَتْ عَلَىٰ نَفْسِهَا بِاللَّوْمِ .

وَلا أسْتَطِيعُ أَنْ أَقُولَ لَهُ شَيئًا (١) .

[١١] استدلال النبي - ﷺ - بعلامة على غضب عائشة ورضاها :

عَنْ عَائشَةَ - رضي الله عنها - قَالَتْ : قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ - ﷺ - : **« إِنِّي لأَعْلَمُ إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً ، وإِذَا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَىٰ »** .

قَالَتْ : فَقُلْتُ : مِنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذَلِكَ ؟! .

فَقَالَ : **« أَمَّا إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً ، فَإِنَّكِ تَقُولِينَ : لا وَرَبِّ مُحمَّدٍ ، وإِذَا كُنْتِ غَضْبَىٰ ، قُلْتِ : لا وَرَبِّ إِبراهِيمَ »** .

قُلْتُ : صَدَقْتَ يا رَسُولَ اللهِ ، مَا أَهْجُرُ إِلا اسْمَكَ (٢) . (٣) .

---

(١) أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ (٥٢١١) ، وَمُسْلِم (٢٤٤٥ / ٨٨) .

(٢) مُرَادُهَا : أَنَّهَا كَانَتْ تَتْرُكُ التَّسْمِيَةَ اللَّفْظِيَّةَ ، ولا يَتْرُكُ قَلْبُهَا التَّعَلُّقَ بِذَاته الكَرِيمَة مَوَدَّةً وَمَحَبَّةً .

(٣) أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ (٥٢٢٨) ، ومُسْلِم (٢٣٣٩ / ٨٠) .

[١٢] أنَّ اللهَ ـ عزَّ وجلَّ ـ غارَ لها، فأنْزَلَ براءتَها مِنْ فوقِ سبعِ سمواتٍ، جاءَ بها الرُّوحُ الأمينُ في عشرِ آياتٍ مِنَ القرآنِ، تُتْلَىٰ علىٰ تعاقُبِ الزَّمانِ:

عَنْ عَائِشَةَ ـ رضي الله عنها ـ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ أَقْرَعَ بَيْنَ أَزْوَاجِهِ، فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ مَعَهُ .

قَالَتْ عَائِشَةَ : فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا (١)، فَخَرَجَ سَهْمِي، فَخَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ـ ﷺ ـ بَعْدَمَا نَزَلَ الحِجَابُ ، فَأَنَا أُحْمَلُ فِي هَوْدَجِي (٢)، وَأُنْزَلُ فِيهِ،

---

(١) هيَ غَزْوَةُ بني المُصْطَلِق ، وتُسَمَّىٰ ـ أيضًا ـ غَزْوَةَ المُرَيْسِيع ، وقَدْ اخْتُلِفَ في تَارِيخِهَا عَلَىٰ ثلاثَةِ أقْوالٍ : فَقِيلَ : كَانَتْ فِي شَعْبَانَ سَنَةَ أرْبَعٍ ، وقِيلَ : سَنَةَ خَمْسٍ ، وقِيلَ : سَنَةَ ستٍّ ، وبالثَّاني جَزَمَ الطَّبَرِيُّ ، ورَجَّحَهُ ابْنُ حَجَرٍ ، ولَو كَانَتْ المُرَيْسِيعُ سَنَةَ ستٍّ ، لَكَانَ ذِكْرُ سَعْدِ بْنِ مُعاذٍ في حَدِيثِ الإفْكِ وَهْمًا وخَطَأً ، لأنَّ سَعْدًا مَاتَ أيَّامَ قُرَيْظَةَ ، وكَانَتْ سَنَةَ خَمْسٍ عَلَىٰ الصَّحِيحِ . انْظُر : « الفَتْح » (٧/ ٤٩٤–٤٩٥) .

(٢) الهَوْدَج ـ بالفتح ـ: مُرَكبٌ مِنْ مَرَاكِبِ النِّسَاءِ، لَه قُبَّة تُسْتَر بالثِّيَابِ، ونَحْوُهُ ، يُوضَعُ علىٰ ظَهْرِ البَعِيرِ ، والجَمْعُ هَوَادِجُ .

فَسِرْنا حَتَّىٰ إِذَا فَرَغَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ - مِنْ غَزْوَتِهِ تِلْكَ وَقَفَلَ، وَدَنَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ قَافِلِينَ؛ آذَنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ [١]، فَقُمْتُ حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ ، فَمَشَيْتُ حَتَّىٰ جَاوَزْتُ الْجَيْشَ ، فَلَمَّا قَضَيْتُ شَأْنِي ، أَقْبَلْتُ إِلَىٰ رَحْلِي ، فَإِذَا عِقْدٌ لِي مِنْ جَزْعِ [٢] ظَفَارِ [٣] قَدِ انْقَطَعَ ، فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي [٤] وَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ [٥] ، وَأَقْبَلَ الرَّهْطُ [٦] الَّذِينَ كَانُوا يَرْحَلُونَ [٧] لِي ، فَاحْتَمَلُوا

---

(١) آذنَ بالرَّحِيْل : أعْلَمَ به .

(٢) الجزْع - بالفَتْح ويُكْسَرُ - الخَرزُ اليَمَانيُّ الصِّينيُّ في سوَاده بَيَاضٌ كالعرُوق، وأحدتُهُ جزْعَةٌ، سُمِّي جزْعًا ؛لأنَّه مُجزَّعٌ « أي : مُقَطَّعٌ » بألوانٍ مُخْتَلفَةٍ.

(٣) ظَفَارِ - بالفَتْح - والبِنَاءِ عَلَىٰ الكَسْرِ - مَدِيْنَة لِحِمْيَرَ باليَمَنِ قُرْبَ صَنْعَاءَ .

(٤) فَالتَمَسْتُ عِقْدي : طَلَبتُ قِلادَتِي .

(٥) ابْتغَاؤُهُ : طَلَبُهُ .

(٦) الرَّهْط - بالفتح - جَمَاعَة دُونَ عَشَرَة .

(٧) رَحَلَ البَعيْرَ - منْ بَابِ مَنَعَ - حَطَّ عَلَيْه الرَّحْلَ .

هَوْدَجِي، فَرَحَلُوهُ (١)عَلَىٰ بَعِيرِي الَّذي كُنْتُ رَكَبْتُ، وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنِّي فِيهِ ، وكَانَ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا لَمْ يُثْقِلْهُنَّ اللَّحْمُ ، إِنَّمَا يَأْكُلْنَ العُلْقَةَ (٢) مِنَ الطَّعَامِ ، فَلَمْ يَسْتَنكِرِ القَوْمُ خِفَّةَ الهَوْدَجِ حِينَ رَفَعُوهُ ، وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ (٣) ، فَبَعَثُوا الجَمَلَ وَسَارُوا ، فَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَ ما اسْتَمَرَّ الجَيْشُ (٤) ، فَجِئْتُ مَنَازِلَهُمْ ، وَلَيْسَ بِهَا داعٍ ولا مُجِيبٌ ، فَأَقَمْتُ (٥)

(١) رَحَلُوهُ : وَضَعُوهُ .

(٢) العُلْقَة : ـ بالضَّمِّ ـ : الشَّيء القَلِيْل الَّذي يُسكِّنُ الرَّمَقَ .

(٣) حَدِيْثة السِّنِّ أيْ: فتيَّة صَغيْرة ،كَانَ عُمُرهَا يَوْمَئذ ثَلاثَ عَشْرَةَ سَنَةً باعْتبَار أنَّ المُرَيْسِيعَ كَانَتْ سَنَةَ خَمْسٍ عَلَىٰ الصَّحِيْح ـ كَمَا تَقَدَّم ـ . فَصِغَرُ سِنِّهَا مَع نَحَافَتْهَا أَبْلَغُ فِي خِفَّتِهَا، وَقَدْ أَشَارَتْ بِذَلِكَ إِلَىٰ بَيَانِ عُذْرِ القَوْمِ فِي تَحْميل هَوْدَجِهَا وَهِيَ لَيْسَتْ فِيه، وَيُتَحَمَّلُ أَن تَكُونَ أَشَارَتْ بِصِغَرِ سِنِّهَا وَعَدَمِ تجَارِبِها للأُمُور إِلَىٰ بَيَانِ عُذْرِها فِيمَا فَعَلَتْهُ مِن اسْتِقْلالِهَا بالتَّفْتِيْشِ عَنْ عِقْدِهَا ، وَتَرْكِ إِعْلامِ أَهْلِهَا بِذَلِكَ ، بِخِلافِ مَا لَو كَانَتْ لَيْسَتْ بِصَغِيْرَةٍ، لَكَانَتْ تَتَفَطَّنُ لِعَاقِبَةِ ذَلِكَ.

(٤) اسْتَمرَّ الجَيْش أيْ : ذَهَبَ مَاضِيًا .

(٥) فأَقَمْتُ : قَصَدْتُ ، وَبَابُهُ رَدَّ .

مَنْزِلي الَّذي كُنْتُ به ، وَظَنَنْتُ أَنَّهُم سَيَفْقِدُونِي ، فَيَرجِعُونَ إِليَّ ، فَبَيْنَا أَنَا جَالسَةٌ في مَنْزِلي ، غَلَبَتْني عَيْني فَنمْتُ ، وكَانَ صَفْوانُ بْنُ المُعَطَّلِ السَّهْمِيُّ ثُمَّ الذَّكْوانِيُّ مِنْ وراءِ الجَيْشِ ، فَأَدْلَجَ (١) فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلي ، فَرَأَىٰ سَوَادَ (٢) إِنْسَانٍ نَائِمٍ ، فأَتَانِي فَعَرفَنِي حِيْنَ رَآني ، وكَانَ يَرَاني قَبْلَ الحِجَاب ، فَاسْتَيْقَظْتُ باسْتِرجَاعِهِ (٣) ، حِيْنَ عَرَفَنِي ، فَتَخَمَّرْتُ (٤) وَجْهِي بِجِلْبَابِي ، واللهِ ، مَا كَلَّمَنِي كَلِمةً ، ولا سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ ، حَتَّىٰ أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ (٥) ، فوَطِئَ عَلَىٰ يَدَيْهَا فَرَكِبْتُهَا، فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ ،

---

(١) فَأَدْلَجَ : سَارَ مِنَ آخرِ اللَّيْلِ ، كَأَنَّهُ تَأَخَّرَ في مَكَانِه حَتَّىٰ قَرُبَ الصُّبح فَرَكِبَ لِيَظْهَرَ لَهُ مَا يَسْقُطُ مِنَ الجَيْشِ مِمَّا يُخْفِيْهِ اللَّيْلُ .

(٢) السَّوَادَ : يُطْلَقُ عَلَىٰ الشَّخْص ، أيَّ شَخْصٍ كَانَ .

(٣) باسْتِرجَاعِه : أيْ : بقَوْلِهِ : إِنَّا للهِ وإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُون .

(٤) فَتَخَمَّرْتُ : فَغَطَّيْتُ .

(٥) أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ : أَبْرَكَهَا .

حَتَّىٰ أتَيْنَا الجَيْش بَعْدَمَا نَزَلُوا مُوغِرِينَ (١) فِي نَحْرِ الظَّهِيرةِ (٢) ، فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ، هَلَكَ،وكَانَ الَّذِي تَوَلَّىٰ الإِفْكَ (٣)، عَبْدَ اللهِ بْنَ أُبَيٍّ بْنَ سَلُولَ .

فَقَدِمْنَا المَدِيْنَةَ ، فَاشْتَكَيْتُ (٤)، حِينَ قَدِمْتُ شَهْرًا ، والنَّاسُ يُفِيضُونَ (٥) فِي قَوْلِ أَصْحَابِ الإِفْكِ، لاَ أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ يَرِيبُنِي (٦) فِي وَجَعِي أَنِّي لا أَعْرِفُ مِنْ رَسُولِ اللهِ - ﷺ - اللُّطَفَ (٧) الَّذِي

---

(١) مُوغِرِينَ : دَاخِلِين فِي وَقت الوَغْرة - بالفَتح - ، وَهِي شِدَّة الحرِّ لَمَّا تَكُون الشَّمسُ فِي كَبِدِ السَّماء « أيْ : وَسَيطَهَا » .

(٢) نَحْرِ الظَّهِيْرة : أوَّلُهَا ، وَهُو وَقْت شِدَّة الحرِّ ، كَأَنَّهُ الشَّمْسَ لَمَّا بَلَغَتْ غَايَتَهَا فِي الإِرتِفَاع ، وَصَلَتْ إِلىٰ النَّحْرِ الَّذِي هُوَ أَعَلَىٰ الصَّدْرِ ، نَحْر الظَّهِيْرة تَأكِيدٌ لِمُوْغرِينَ .

(٣) تَوَلَّىٰ الإِفْكَ : تَصَدَّىٰ للكَذب وَتَقَلَّدَهُ .

(٤) اشْتَكَيْتُ : مَرِضتُ .

(٥) يُفِيضُونَ : يَخُوضُونَ ، مِنْ أفَاضَ فِي قَوْلٍ : إِذَا أكْثَرَ مِنْهُ .

(٦) يَرِيبُنِي : مَنْ رَابَهُ الشَّيءُ : إِذَا أُدْخِلَ عَلَيْهِ شرًّا وَخَوفًا ، وَبَابَهُ بَاع .

(٧) اللُّطَفَ : - بالتَّحرِيك وَبِالضَّمِّ - : الرِّفْق .

كُنْتُ أَرَىٰ مِنْهُ حِينَ أَشْتَكِي ، إِنَّمَا يَدْخُلُ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ فَيُسَلِّمُ ثُمَّ يَقُولُ: « كَيْفَ تِيكُمْ » . ثُمَّ يَنْصَرِفُ فَذَاكَ الَّذِي يَرِيبُنِي وَلاَ أَشْعُرُ بِالشَّرِّ ، حَتَّى خَرَجْتُ بَعْدَمَا نَقَهْتُ (١) ، فَخَرَجَتْ مَعِي أُمُّ مِسْطَحٍ قِبَلَ (٢) الْمَنَاصِعِ (٣) وَهُوَ مُتَبَرَّزُنَا (٤) ، وَكُنَّا لاَ نَخْرُجُ إِلاَّ لَيْلاً إِلَى لَيْلٍ ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الْكُنُفَ (٥) قَرِيبًا مِنْ بُيُوتِنَا ، وَأَمْرُنَا أَمْرُ الْعَرَبِ الأُوَلِ

---

(١) النَّاقِه : الَّذِي بَرأَ وَأَفَاقَ مِنْ مَرَضِه ، وَهُوَ قَرِيبُ العَهْدِ بِه ، لَمْ يَرجِع إِلَيْه كَمَالُ صِحَّتِه وَقُوَّتِه ، وَبَابُهُ كَلَحَ ، وَنَقِه مِنَ بَابِ فَرِحَ لُغَيَّةٌ .

(٢) قِبَلَ : بِزِنَةِ عِنَبٍ ـ : جِهَةَ .

(٣) الْمَنَاصِع : صَعِيدٌ أَفْيَحٌ وَاسِعٌ خَارِجَ الْمَدِيْنَة ، كُنَّ النِّسَاء يَتَبَرَّزْنَ إِلَيْه لَيْلاً عَلَىٰ مَذَاهِب العَرَب بِالجَاهِلِيَّةَ .

(٤) مُتَبَرَّزُنَا : ـ بِفَتْحِ الرَّاءِ مُشَدَّدَةً ـ مَوْضِعُ التَّبَرُّز ، وَهُو الخُرُوج إِلىٰ البَرَاز ـ بِالفَتْح وَهُوَ الفَضَاء الوَاسِع ، وَكُلُّهُ كِنَايَةٌ عَن الخُرُوجِ إِلىٰ قَضَاءِ الحَاجَة .

(٥) الكُنُف : ـ بِضَمَّتَيْن ـ : جَمع كَنِيفٍ ، وَهُوَ السَّاتِر ، وَالمُرادُ بِه هُنَا : المَكَانَ المُتَّخَذ لِقَضَاء الحَاجَة .

فِي التَّبَرُّزِ، قَبلَ الْغَائط [1] ، فَكُنَّا نَتَأَذَّى بِالْكُنُف أَنْ نَتَّخِذَهَا عِنْدَ بُيُوتِنَا ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ،وَهِيَ ابْنَةُ أَبِي رُهْمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَأُمُّهَا بِنْتُ صَخْرِ بْنِ عَامِرٍ خَالَةُ، أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ،وَابْنُهَا مِسْطَحُ بْنُ أُثَاثَةَ، فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ قِبَلَ بَيْتِي، وَقَدْ فَرَغْنَا مِنْ شَأْنِنَا، فَعَثَرَتْ أُمُّ مِسْطَحٍ فِي مِرْطِهَا،فَقَالَتْ:تَعِسَ [2] مِسْطَحٌ ! ، فَقُلْتُ لَهَا : بِئْسَ مَا قُلْتِ! ، أَتَسُبِّينَ رَجُلاً شَهِدَ بَدْرًا ، قَالَتْ : أَيْ [3] هَنْتَاهْ [4] ، أَوَلَمْ

الغَائط : المُنْخَفض مِنَ الأرض الوَاسع ، كَانَ الرَّجل إِذَا أَرَادَ قَضَاءَ الحَاجَة، ارْتَادَ غَائطًا مِنَ الأَرْضِ يَغيبُ فِيْه عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ ، والجَمْعُ غيطَانٌ .

تَعِيسَ : عَثَرَ وانْكَبَّ لِوَجْهِه ، أَوْ هَلَكَ ، أَوْ بَعُدَ أَقْوَالٌ ، وَبَابُهُ فِيمَ ومَنَعَ .

أَيْ - بزنَة كَيْ - : حَرْفٌ لنداء القَرِيْب .

هَنْتَاهْ : بِفَتْحِ الهَاء وَسُكُون النُّون ، وَقَدْ تُفْتَحُ ، وبِسُكُون الهَاء الأَخيرة وَضَمِّهَا - : لَفْظَة مُخْتَصَّةٌ بِنداء المُؤَنَّث ، مَعْنَاهَا : يَا امْرَأَةُ ، وَقِيْلَ : يَا بَلْهَاءُ ، كَأَنَّهَا نَسَبَتْهَا إِلَى قِلَّة المَعْرِفَة بِمَكَائِد

تَسْمَعِي مَا قَالَ ؟ .

قَالَتْ : قُلْتُ : وَمَا قَالَ ؟ ، فَأَخْبَرَتْنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الإِفْكِ ، فَازْدَدْتُ مَرَضًا عَلَى مَرَضِي، فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي وَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - ، سَلَّمَ ثُمَّ قَالَ : « كَيْفَ تِيكُمْ ؟ » .

فَقُلْتُ : أَتَأْذَنُ لِي أَنْ آتِيَ أَبَوَيَّ ؟ ، قَالَتْ : وَأَنَا حِينَئِذٍ أُرِيدُ أَنْ أَسْتَيْقِنَ الْخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا ، قَالَتْ : فَأَذِنَ لِي رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فَجِئْتُ أَبَوَيَّ فَقُلْتُ لأُمِّي : يَا أُمَّتَاهْ مَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ ؟! .

قَالَتْ : يَا بُنَيَّةُ هَوِّنِي عَلَيْكِ، فَوَاللَّهِ ، لَقَلَّمَا كَانَتْ امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةٌ[١] عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا وَلَهَا ضَرَائِرُ[٢] ،

= النَّاسِ وَشُرُورَهُم . وَأَصْلُ هَنْتَاهُ : هَنْتٌ - بِالتَّاءِ سَاكِنَةَ النُّون - أَوْ هَنَةٌ - بِالهَاءِ مُحَرَّكَةَ النُّون - فَزِيدَت الألفُ وهَاءُ السَّكْتِ ، والتَّثْنِية هَنْتَان ، والجَمْعُ هَنَاتٌ وَهَنَواتٌ ، وَفِي المُذَكَّر يُقَالُ : هَنٌ ، وَهَنَان ، وَهَنُونَ .

(١) وَضِيئَة : بِزِنَة عَظِيمَة - : حَسَنَةً جَمِيلَة .

(٢) الضَّرَائِر : زَوْجَات الرَّجُل ، واحدتُهُنَّ ضَرَّةٌ - بالفَتْح - سُمِّيْن ضَرَائِرَ ؛ لأَنَّ كُلَّ واحدةٍ يَحْصُلُ لَهَا الضَّرَرُ مِنَ الأُخْرَىٰ بالغَيْرَة .

إِلاَّ كَثَّرْنَ عَلَيْهَا .

قَالَتْ: فَقُلْتُ : سُبْحَانَ اللَّهِ أَوَلَقَدْ تَحَدَّثَ النَّاسُ بِهَذَا ؟! .

قَالَتْ :فَبَكَيتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لا يَرْقَأُ[١] لِي دَمْعٌ ، وَلاَ أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ [٢] ، حَتَّى أَصْبَحْتُ أَبْكِي، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ـ ﷺ ـ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ ـ رضي الله عنهما ـ حِينَ اسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ [٣] ، يَسْتَأْمِرُهُمَا [٤] ، فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ .

قَالَتْ : فَأَمَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَأَشَارَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ـ ﷺ ـ بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ ، وَبِالَّذِي يَعْلَمُ لَهُمْ فِي نَفْسِهِ مِنْ الْوُدِّ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَهْلَكَ [٥] ،

---

(١) لا يَرْقَأُ : لا يَنْقَطِعُ ، وبَابُهُ ، قَطَعَ وخَضَعَ .

(٢) ولا أَكْتَحِلُ بِنَومٍ : اسْتِعَارَةٌ لِلسَّهَرِ .

(٣) اسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ : أَبْطَأَ نُزُولُهُ .

(٤) الاسْتِئْمَارُ : الْمُشَاوَرَة .

(٥) أَهْلَكَ : ـ بالنَّصْب ـ أَيْ : أَمْسِكْ .

وَلاَ نَعْلَمُ إِلاَّ خَيْراً .

وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ لَمْ يُضَيِّقِ اللَّهُ عَلَيْكَ ، وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ ، وَإِنْ تَسْأَلِ الْجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ .

قَالَتْ : فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ـ ﷺ ـ بَرِيرَةَ فَقَالَ : « أَيْ بَرِيرَةُ [١] ، هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَيْءٍ يَرِيبُكِ ؟ » .

قَالَتْ بَرِيرَةُ : لاَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ، إِنْ رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْراً أَغْمِصُهُ [٢] عَلَيْهَا أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا فَتَأْتِي الدَّاجِنُ [٣] فَتَأْكُلُهُ .

---

(١) بَرِيرَةُ : مَوْلاَةُ عَائِشَةَ ـ اشْتَرَتْهَا ، ثُمَّ أَعْتَقَتْهَا ، وَكَانَتْ تَخْدُمُهَا قَبْلَ أَنْ تَشْتَرِيَهَا .

(٢) أَغْمِصُهُ : أَعِيبُهُ .

(٣) الدَّاجِنُ : الشَّاةُ الَّتِي تَأْلَفُ الْبُيُوتَ ، وَتُقِيمُ بِهَا ، وَلاَ تَخْرُجُ إِلَى الْمَرْعَى ، وَالْجَمْعُ دَوَاجِنُ .

فَقَامَ رَسُولُ اللّٰه ـ ﷺ ـ فَاسْتَعْذَرَ يَوْمَئِذٍ مِنْ عَبْدِ اللّٰه ابْنِ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ .

قَالَتْ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ـ ﷺ ـ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ: **« يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يَعْذِرُنِي[١] مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي فَوَاللَّه مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلاَّ خَيْرًا وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلاً مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلاَّ خَيْرًا وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلاَّ مَعِي »** .

فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الأَنْصَارِيُّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّه أَنَا أَعْذِرُكَ مِنْهُ ، إِنْ كَانَ مِنَ الأَوْسِ[٢] ضَرَبْتُ عُنُقَهُ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنَ الْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ.

قَالَتْ : فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ رَجُلاً صَالِحًا وَلَكِنْ احْتَمَلَتْهُ[٣]

---

(١) يَعْذِرُنِي : يُنْصِفُنِي ويَنْصُرُنِي ، والتعذير : النَّاصر .
(٢) الأَوْس : قَبِيْلَة سَعْد بْن مُعَاذٍ .
(٣) احْتَمَلَتْهُ : أغْضَبَتْهُ .

الْحَمِيَّةُ [1] فَقَالَ لِسَعْدٍ : كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ [2] ، لاَ تَقْتُلُهُ وَلاَ تَقْدِرُ عَلَى قَتْلِهِ .

فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ [3] ، فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ لَنَقْتُلَنَّهُ ، فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ .

فَتَثَاوَرَ الْحَيَّانِ [4] : الأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ، حَتَّى هَمُّوا أَنْ يَقْتَتِلُوا وَرَسُولُ اللَّهِ ـ ﷺ ـ قَائِمٌ عَلَى الْمِنْبَرِ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ـ ﷺ ـ يُخَفِّضُهُمْ حَتَّىٰ سَكَتُوا وَسَكَتَ .

قَالَتْ : فَبَكَيْتُ يَوْمِي ذَلِكَ لاَ يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلاَ أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ ، قَالَتْ : فَأَصْبَحَ أَبَوَايَ عِنْدِي وَقَدْ

---

(1) الحَمِيَّة : بزنَة السَّجِيَّة ـ : الأَنَفَة والغَيْرة والغَضَب .
(2) لَعَمْرُ اللهِ ـ بفَتْح العَيْن لا غيْرُ ـ : هُوَ قَسَمٌ ببَقَاء اللهِ وَدَوَامه .
(3) وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَعْدٍ أيْ : منْ رَهْطه وَعَشيرَته، ولَمْ يَكُنْ ابْنَ عَمِّه لَحًّا، بَلْ هُوَ ابْنُ عَمٍّ كَلالَةً ، يُقَالُ : لَحَّت القَرَابَةُ بَيْنَنَا لَحًّا : إذَا الْتَصَقَتْ وتَقَارَبَتْ، وَكَلَّتْ كَلالَةً : إذَا تَبَاعَدَتْ .
(4) فَتَثَاوَرَ الحَيَّان : تَنَاهَضَتْ القَبِيلَتَان منْ أَمَاكنهمَا للنِّزَاع والعَصَبيَّة .

بَكَيْتُ لَيْلَتَيْنِ وَيَوْمًا ، لا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ ، وَلا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ ، يَظُنَّان أَنَّ الْبُكَاءَ فَالِقٌ كَبِدِي .

قَالَتْ : فَبَيْنَمَا هُمَا جَالِسَان عِنْدِي وَأَنَا أَبْكِي ، فَاسْتَأْذَنَتْ عَلَيَّ امْرَأَةٌ مِنْ الأَنْصَارِ ، فَأَذِنْتُ لَهَا فَجَلَسَتْ تَبْكِي مَعِي .

قَالَتْ : فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ ، دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ. قَالَتْ : وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مُنْذُ قِيلَ مَا قِيلَ قَبْلَهَا ، وَقَدْ لَبِثَ شَهْرًا لا يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي قَالَتْ فَتَشَهَّدَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - حِينَ جَلَسَ ثُمَّ قَالَ :

أَمَّا بَعْدُ - يَا عَائِشَةُ - فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ اللَّهُ،وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ(١) فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ،فَإِنَّ الْعَبْدَ

---

(١) أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ : ارْتَكَبْتِ ذَنْبًا عَلَىٰ خِلاف العادَة ، وَهَذَا حَقِيقَةُ اللَّمَمِ .

إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ ثُمَّ تَابَ إِلَى اللَّهِ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ (١).

(١) قَالَ ابْنُ القَيِّمِ فِي الزَّاد (٣/٢٣٤-٢٣٥): « فَإِنْ قِيلَ: فَمَا بَالُ رَسُولِ اللهِ ـ ﷺ ـ تَوَقَّفَ فِي أَمْرِهَا، وَسَأَلَ عَنْهَا وَبَحَثَ وَاسْتَشَارَ، وَهُوَ أَعْرَفُ بِاللهِ وَبِمَنْزِلَتِهِ عِنْدَهُ وَبِمَا يَلِيقُ بِهِ، وَهَلاَّ قَالَ: سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ، كَمَا قَالَ فُضَلاءُ الصَّحَابَةِ؟.

فالجواب: أَنَّ هَذَا مِنْ تَمَامِ الحِكَمِ البَاهِرَةِ الَّتِي جَعَلَ اللهُ هَذِهِ القِصَّةَ سَبَبًا لَهَا، وَامْتِحَانًا وَابْتِلاءً لِرَسُولِهِ ـ ﷺ ـ، وَلِجَمِيعِ الأُمَّةِ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ؛ لِيَرْفَعَ بِهَذِهِ القِصَّةِ أَقْوَامًا، وَيَضَعَ بِهَا آخَرِينَ، وَيَزِيدَ اللهُ الَّذِيْنَ اهْتَدَوْا هُدًى وَإِيْمَانًا، وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِيْنَ إِلا خَسَارًا، وَاقْتَضَىٰ تَمَامُ الامْتِحَانِ وَالابْتِلاءِ أَنْ حُبِسَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ـ ﷺ ـ الوَحْيُ شَهْرًا فِي شَأْنِهَا، وَلاَ يُوحَىٰ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ شَيْءٌ؛ لِتَتِمَّ حِكْمَتُهُ الَّتِي قَدَّرَهَا وَقَضَاهَا، وَتَظْهَرَ عَلَىٰ أَكْمَلِ الوُجُوهِ، وَيَزْدَادَ المُؤْمِنُونَ الصَّادِقُونَ إِيْمَانًا وَثَبَاتًا عَلَىٰ العَدْلِ وَالصِّدْقِ، وَحُسْنِ الظَّنِّ بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَأَهْلِ بَيْتِهِ، وَالصِّدِّيْقِينَ مِنْ عِبَادِهِ، وَيَزْدَادَ المُنَافِقُونَ إِفْكًا وَنِفَاقًا، وَيُظْهِرَ لِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِيْنَ سَرَائِرَهُمْ، وَلِتَتِمَّ العُبُودِيَّةُ المُرَادَةُ مِنْ الصِّدِّيقَةِ وَأَبَوَيْهَا، وَتَتِمَّ نِعْمَةُ اللهِ عَلَيْهِم، وَلِتَشْتَدَّ الفَاقَةُ وَالرَّغْبَةُ مِنْهَا وَمِنْ أَبَوَيْهَا وَالافْتِقَارُ إِلَىٰ اللهِ، وَالذُّلُّ لَهُ، وَحُسْنُ الظَّنِّ بِهِ، وَالرَّجَاءُ لَهُ، وَلِيَنْقَطِعَ رَجَاؤُهَا مِنَ المَخْلُوقِينَ، وَتَيْئَسَ مِنْ حُصُولِ النُّصْرَةِ وَالفَرَجِ عَلَىٰ يَدِ أَحَدٍ مِنَ الخَلْقِ، وَلِهَذَا وَفَّتْ هَذَا المَقَامَ حَقَّهُ، لَمَّا قَالَ لَهَا أَبَوَاهَا: قُومِي إِلَيْهِ، وَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ

بَرَاءَتِهَا ، فَقَالَتْ: واللهِ لا أَقُومُ ، ولا أَحْمَدُ إلاَّ اللهَ ، هُوَ الَّذي أَنْزَلَ بَرَاءَتِي .

وأَيْضًا فَكَانَ مِنْ حِكْمَةِ حَبْسِ الوَحْيِ شَهْرًا أَنَّ القَضِيَّةَ مُحِّصَتْ وَتَمَحَّضَتْ، واسْتَشْرَفَتْ قُلُوبُ المُؤْمِنِينَ أَعْظَمَ اسْتِشْرَافٍ إِلَىٰ مَا يُوحِيهِ اللهُ إِلَىٰ رَسُولِهِ - ﷺ - فِيهَا، وَتَطَلَّعَتْ إِلَىٰ ذَلِكَ غَايَةَ التَّطَلُّعِ ، فَوَافَى الوَحْيُ أَحْوَجَ مَا كَانَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ - ﷺ - وَأَهْلُ بَيْتِهِ ، والصِّدِّيقُ وأَهْلُهُ، وأَصْحَابُهُ والمُؤْمِنِينَ ، فَوَرَدَ عَلَيْهِم وُرُودَ الغَيْثِ عَلَىٰ الأَرْضِ أَحْوَجِ مَا كَانَتْ إِلَيْهِ ، فَوَقَعَ مِنْهَا أَعْظَمَ مَوْقِعٍ وَأَلْطَفَهُ ، وَسُرُّوا بِهِ أَتَمَّ السُّرُورِ ، وَحَصَلَ لَهُمْ بِهِ غَايَةُ الهَنَاءِ ، فَلَوْ أَطْلَعَ اللهُ رَسُولَهُ - ﷺ - عَلَىٰ حَقِيقَةِ الحَالِ مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ ، وأَنْزَلَ الوَحْيَ عَلَىٰ الفَوْرِ بِذَلِكَ - لَفَاتَتْ هَذِهِ الحِكَمُ وَأَضْعَافُهَا ، بَلْ أَضْعَافُ أَضْعَافِهَا .

وَأَيْضًا فَإِنَّ اللهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - أَحَبَّ أَنْ يُظْهِرَ مَنْزِلَةَ رَسُولِهِ - ﷺ - وَأَهْلَ بَيْتِهِ عِنْدَهُ وَكَرَامَتَهُمْ عَلَيْهِ ، وَأَنْ يُخْرِجَ رَسُولَهُ عَنْ هَذِهِ القَضِيَّةِ ، وَيَتَوَلَّىٰ هُوَ بِنَفْسِهِ الدِّفَاعَ وَالمُنَافَحَةَ عَنْهُ ، وَالرَّدَّ عَلَىٰ أَعْدَائِهِ وَذَمَّهُمْ وَعَيْبَهُمْ بِأَمْرٍ لا يَكُونُ لَهُ فِيهِ عَمَلٌ ، وَلا يُنْسَبُ إِلَيْهِ، بَلْ يَكُونُ هُوَ - وَحْدَهُ - المُتَوَلِّي لِذَلِكَ الدِّفَاعِ ، الثَّائِرَ لِرَسُولِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ .

وَأَيْضًا فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ - ﷺ - هُوَ المَقْصُودُ بِالأَذَىٰ ، وَالَّتِي رُمِيَتْ زَوْجَتُهُ ، فَلَمْ يَكُنْ يَلِيقُ بِهِ أَنْ يَشْهَدَ بِبَرَاءَتِهَا مَعَ عِلْمِهِ - أَو ظَنِّهِ الظَّنَّ المُقَارِبَ لِلعِلْمِ - بِبَرَاءَتِهَا ، وَلَمْ يَظُنَّ بِهَا سُوءًا قَطُّ ، وَحَاشَاهُ

قَالَتْ :فَلَمَّا قَضَىٰ رَسُولُ اللَّه - ﷺ - مَقَالَتَهُ قَلَصَ دَمْعِي(١) ، حَتَّى مَا أُحِسُّ مِنْهُ قَطْرَةً ، فَقُلْتُ لأَبِي : أَجِبْ رَسُولَ اللَّه - ﷺ - فِيمَا قَالَ ، قَالَ : وَاللَّه مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّه - ﷺ - ؟ ، فَقُلْتُ : لأُمِّي أَجِيبِي رَسُولَ اللَّه - ﷺ - قَالَتْ : مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّه - ﷺ - .

وَحَاشَاهَا ؛ وَلِذَلِكَ لَمَّا اسْتَعْذَرَ مِنْ أَهْلِ الإِفْكِ ، قَالَ : « **مَنْ يَعْذُرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي فَوَاللَّه مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلاَّ خَيْرًا وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلاً مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلاَّ خَيْرًا وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلاَّ مَعِي** ».

فَكَانَ عِنْدَهُ مِنَ القَرَائِنِ الَّتِي تَشْهَدُ بِبَرَاءَةِ الصِّدِّيقَةِ أَكْثَرَ مِمَّا عِنْدَ المُؤْمِنِين، وَلَكِنْ لِكَمَالِ صَبْرِه وَثَبَاتِه وَرِفْعَتِه، وَحُسْنِ ظَنِّه بِرَبِّه ،وَثِقَتِه بِه، وَفَّىٰ مَقَامَ الصَّبْرِ والثَّبَاتِ وحُسْنِ الظَّنِّ باللهِ حَقَّهُ ، حَتَّىٰ جَاءَهُ الوَحْيُ بِمَا أَقَرَّ عَيْنَهُ ، وَسَرَّ قَلْبَهُ ، وَعَظَّمَ قَدْرَهُ ، وظَهَرَ لأُمَّتِه احْتِفَاءُ رَبِّه بِه ، واعْتِنَاؤُهُ بِشَأْنِه) . اهـ .

(١) قَلَصَ دَمْعِي : ارْتَفَعَ وانْقَطَعَ جَرَيَانُهُ ؛ لأَنَّ الحُزْنَ والغَضَبَ إِذَا أَخَذَ أَحَدَهُمَا ، فُقِدَ الدَّمْعُ لِفَرْطِ حَرَارَةِ المُصِيبَةِ .

قَالَتْ : فَقُلْتُ وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ لا أَقْرَأُ كَثِيرًا مِنْ الْقُرْآنِ ـ إِنِّي وَاللَّه ـ لَقَدْ عَلِمْتُ لَقَدْ سَمِعْتُمْ هَذَا الْحَدِيثَ ،حَتَّى اسْتَقَرَّ فِي أَنْفُسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ ، فَلَئِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي بَرِيئَةٌ ـ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ ـ لا تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ ، وَلَئِنْ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي مِنْهُ بَرِيئَةٌ ، لَتُصَدِّقُنِّي ، وَاللَّه مَا أَجِدُ لَكُمْ مَثَلا إِلاَّ قَوْلَ أَبِي يُوسُفَ قَالَ : ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف : ١٨] .

قَالَتْ : ثُمَّ تَحَوَّلْتُ فَاضْطَجَعْتُ عَلَى فِرَاشِي، قَالَتْ: وَأَنَا حِينَئِذٍ أَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ ، وَأَنَّ اللَّهَ مُبَرِّئِي بِبَرَاءَتِي ، وَلَكِنْ وَاللَّه ، مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ مُنْزِلٌ فِي شَأْنِي وَحْيًا يُتْلَى ، وَلَشَأْنِي فِي نَفْسِي كَانَ أَحْقَرَ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ فِيَّ بِأَمْرٍ يُتْلَى ، وَلَكِنْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ ـ ﷺ ـ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللَّهُ بِهَا .

قَـالَتْ : فَـوَاللَّه مَـا رَامَ (١) رَسُـولُ اللَّه - ﷺ - وَلاَ خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ ، حَتَّى أُنْزِلَ عَلَيْه فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنْ الْبُرَحَاءِ (٢) ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ (٣) مِنْهُ مِثْلُ الْـجُمَانِ (٤) مِنْ الْعَرَقِ ، وَهُوَ فِي يَوْمٍ شَاتٍ مِنْ ثِقَلِ الْقَوْلِ الَّذي يُنْزَلُ عَلَيْه قَالَتْ فَلَمَّا سُرِّيَ (٥) عَنْ رَسُولِ اللَّه - ﷺ - ، سُرِّيَ عَنْهُ وَهُوَ يَضْحَكُ ، فَكَانَتْ أَوَّلُ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا : « **يَا عَائِشَةُ أَمَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَدْ بَرَّأَكِ** » .

فَقَالَتْ : أُمِّي قُومِي إِلَيْهِ ، قَالَتْ : فَقُلْتُ : لاَ وَاللَّه

---

(١) مَا رَامَ أَيْ : مَا فَارَقَ مَجْلِسَهُ ، وبَابُهُ بَاع ،أمَّا رام بِمَعْنَىٰ : طَلَبَ فَبَابُهُ قَالَ .

(٢) الْبُرَحَاء : - بِضَمٍّ فَفَتحٍ - : شِدَّة الكَرْب ومشقَّته .

(٣) لَيَتَحَدَّرُ : لَيَنصبُّ .

(٤) الجُمَان : - بِزِنَة الغُراب - : اللُّؤلُؤ ، واحدَتُهُ جُمَانَةٌ ، شَبَّهَتْ قَطَرات عَرَقه - ﷺ - بِحَبَّات اللُّؤلُؤ لِمُشَابَهَتهَا فِي الصَّفَاء والحُسْن .

(٥) سُرِّيَ : كُشِفَ وأُزِيلَ عَنْهُ .

لاَ أَقُومُ إِلَيْهِ وَلاَ أَحْمَدُ إِلاَّ اللَّهَ - عَزَّ وَجَلَّ - (١) .

---

(١) قَالَ ابْنُ القَيِّم - رحمَهُ اللهُ - في « الزَّاد » (٣/٢٣٦-٢٣٧) :
« وَقَدْ تأمَّلَ قَولَ الصِّدِّيقَة ، وَقَدْ نَزَلَتْ بَرَاءَتُهَا ، فَقَالَ لَهَا أَبُواهَا : قُومِي إِلىٰ رَسُول الله - ﷺ - ، فَقَالَتْ : والله ، لا أَقُومُ إِلَيْه ، ولا أَحْمَدُ إلا اللهَ - عَلِمَ مَعْرِفَتَها وقُوَّةَ إِيْمَانِهَا ، وَتَوْلِيَتها النِّعْمَةَ لِربِّهَا ، وإِفْرَادَهُ بالحَمْد في ذَلكَ المقَامِ ، وتَجْرِيْدَهَا التَوْحِيْدَ، وقُوَّة جَأْشِهَا ، وإِدْلاَلَها ببَرَاءَة سَاحَتِهَا ،وأَنَّهَا لَـمْ تَفْعَلْ مَا يُوجب قيامهَا في مَقَامِ الرَّاغب في الصُّلْح الطَّالب لَهُ، وثقتَهَا بِمَحَبَّة رَسُول الله - ﷺ - لَهَا، قَالَتْ مَا قَالَتْ إِدْلاَلاً للحَبِيْب عَلَىٰ حَبِيْبه، وَلا سِيَّما في مِثْلِ هَذَا المقَام الَّذي هُوَ أحْسَنُ مَقَامَات الإِدْلال ، فَوَضَعَتْهُ مَوْضِعَهُ ، ولله مَا كَانَ أَحَبَّهَا إِلَيْه حينَ قَالَتْ : لا أَحْمَدُ إلا الله ، فَإِنَّهُ هُوَ الَّذي أَنْزَلَ بَرَاءَتي ! ، ولله ذَلكَ الثَّبَاتُ والرَّزَانَةُ منْهَا ، وَهُوَ أَحَبُّ شَيءٍ إِلَيْهَا ، وَلا صَبْرَ لَهَا عَنْه ، وَقَدْ تَنكَّرَ لَهَا قَلْبُ حَبِيْبِهَا شَهْرًا ، ثُمَّ صَادَفت الرِّضَا منْه والإِقبالَ ، فَلَمْ تُبَادرْ إِلىٰ القِيَامِ إِلَيْه ، والسُّرور برِضَاهُ وقُرْبه مَعَ شِدَّة مَحَبَّتِهَا لَهُ ! ، وَهَذَا غَايَةُ الثَّبَاتِ والقُوَّة » . ا هـ .
قُلتُ : لله دَرُّ هَـذَا الإِمـامِ ، فَكَلامُـهُ يَسْتَـحقُّ أن يُكتبَ بِمَـاءِ الذَّهَب ، وَلَوْ سَمعَتْهُ أُمُّنا عَائشَةُ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - ، لَحَمدتْ لَهُ صَنيعَهُ ، فاللهُ يجزيه خَيْرًا ، ويَحْفَظُ علْمَهُ بِحفْظ كتَابه الكَرِيم ، وَمَا ذَلكَ عَلَىٰ الله بِعزيزٍ .

فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ

[النور : ١١] [١] .

فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ هَذَا فِي بَرَاءَتِي، قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : ـ وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحِ بْنِ أُثَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَفَقْرِهِ ـ وَاللَّهِ لاَ أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ مَا قَالَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ :

(٢)

قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ كَمَا فِي «الفَتْح» (٨ / ٦١٢) : «لَمْ يَقَعْ فِي القُرآن مِنَ التَّغْلِيظ فِي مَعْصِيَة ما وَقَعَ فى قِصَّةَ الإفْك بأوْجَز عِبَارَة وأشْنَعها ؛ لاشْتِمَاله عَلَىٰ الوَعِيْد الشَّدِيْد، والعِتَاب البَلِيْغ، والزَّجْر العَنِيْف،واسْتِعْظَام القَولَ في ذَلكَ، واسْتِشْفَاعه بِطُرق مُخْتَلفَة وَأَسَاليبَ مُتْقَنَة،كُلُّ وَاحد مِنْهَا كَافٍ فِي بَابه، بَلْ مَا وَقَعْ مِنْهَا مِنْ وَعِيْد عَبَدَة الأَوْثَان إلا بِمَا هُوَ دُونَ ذَلكَ ، وَمَا ذَلكَ إلا لإظْهَار عُلُوِّ مَنْزِلَة رَسُول الله ﷺ ـ وَتَطْهِير مَنْ هُوَ مِنْهُ بِسَبِيلٍ» . اهـ .

لا يأْتَل : لاَ يَحْلِفْ ، مَن ائتَلَىٰ ائْتِلاءً .

أُولي القُربىٰ والمساكين والمُهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تُحبُّون أن يغفر اللهُ لكُمْ واللهُ غفورٌ رحيم (٢٢) ﴾ [النور : ٢٢] .

قَالَ أَبُو بَكْرٍ : بَلَى وَاللَّه ، إِنِّي أُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي فَرَجَعَ إِلَىٰ مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْه ، وَقَالَ : وَاللَّه لاَ أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا .

قَالَتْ عَائِشَةُ : وَكَانَ رَسُولُ اللَّه - ﷺ - يَسْأَلُ زَيْنَبَ ابْنَةَ جَحْشٍ عَنْ أَمْرِي ، فَقَالَ : يَا زَيْنَبُ مَاذَا عَلِمْت أَوْ رَأَيْتِ ؟ ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّه ، أَحْمِي سَمْعِي وَبَصَرِي ، مَا عَلِمْتُ إِلاَّ خَيْرًا ، قَالَتْ : وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي [١] مِنْ أَزْوَاجِ رَسُولِ اللَّه - ﷺ - فَعَصَمَهَا [٢] اللَّهُ بِالْوَرَعِ ، وَطَفِقَتْ [٣] أُخْتُهَا حَمْنَةُ

---

(١) تُسَامِنِي : تُعَالِينِي وَتُطَاوِلُنِي مِنَ السُّمُوِّ ، وَهُو العُلُوُّ والارْتِفَاعُ .
(٢) فَعَصَمَهَا : - مِنْ بَابِ ضَرَبَ - وَقَاهَا وَمَنَعَهَا .
(٣) طَفِقَتْ : جَعَلَتْ وَأَخَذَتْ ، وَبَابُهُ فَرِحَ ، وَطَفَقَ مِنْ بَابِ جَلَسَ لُغَيَّةٌ .

تُحَارِبُ لَهَا (١) فَهَلَكَتْ فِيمَنْ هَلَكَ مِنْ أَصْحَابِ الإِفْكِ (٢) » (٣) .

---

(١) تُحَارِبُ لَهَا : تُجَادِلُ لَهَا وَتَتَعَصَّبُ ، فَتَحكي مَا قَالَ أَهْلُ الإِفْكِ ؛ لِتَنْخَفِضَ مَنْزِلَةُ عَائِشَةَ ، وَتَعْلُوَ مَرْتَبَةُ أُخْتِهَا زَيْنَبَ .

(٢) أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ - وَاللَّفْظُ لَهُ (٤٧٥٠) ، وَمُسْلِم (٢٧٧٠ / ٥٦) .

(٣) هُنَا فَائِدَةٌ مُهِمَّةٌ : نَقَلَ القَاضِي عِيَاضٌ فِي « الشِّفَاء » (٢ / ١١٩) الإِجمَاعَ عَلَىٰ كُفْرِ مَنْ سَبَّ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - بِمَا بَرَّأَهَا اللهُ مِنْهُ ، فَقَالَ - رَحِمَهُ اللهُ - : « مَنْ قَذَفَ عَائِشَةَ بِمَا بَرَّأَهَا اللهُ مِنْه ، فَقَدْ كَفَرَ بلا خِلافٍ ، وَقَدْ حَكَىٰ الإِجمَاعَ عَلَىٰ هَذَا غَيْرُ وَاحِدٍ ، وَصَرَّحَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الأَئِمَّةِ لِهَذَا الحُكْم ، فَرُوِيَ عَنْ مَالِكٍ : مَنْ سَبَّ أَبَا بَكْرٍ جُلِدَ ، وَمَنْ سَبَّ عَائِشَةَ قُتِلَ ، قِيلَ لَه : لِمَ ؟! ، قَالَ : مَنْ رَمَاهَا فَقَدْ خَالَفَ القُرآنَ . وَقَالَ ابْنُ شَعبانَ فِي رِوَايَتِه عَنْ مَالِكٍ : لأَنَّ اللهَ - تَعَالَىٰ - يَقُولُ : ﴿ يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين ﴾ [النور : ١٧] » . اهـ .

وَقَالَ الحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ - رَحِمَهُ اللهُ - فِي « تَفسِيرِه » (٣ / ٣٧٦) عند تُفسيرِهِ لِقَوْلِه تَعَالَىٰ : ﴿ الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرءون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم (٢٦) ﴾ [النور : ٢٦] : « مَا كَانَ اللهُ لِيَجْعَلَ عَائِشَةَ زَوْجَةَ رَسُول الله - ﷺ - إلا وَهِيَ طَيِّبَةٌ ؛ لأَنَّهُ أَطْيَبُ مِنْ كُلِّ طَيِّبٍ مِنَ البَشَرِ ، وَلَوْ كَانَتْ خَبِيثَةً لَمَا صَلَحَتْ لَهُ لا شَرْعًا ولا قَدْرًا ؛

يَالَهُ مِنْ بَلاءٍ عَظِيْمٍ! ، كَانَ مِنْ ثَمَرَتِه أَنْ رَفَعَ مِنْ شَأَنِ عَائِشَةَ أُمِّ المؤُمنِيْن، إِذْ صَارَ لَهَا لِسَانُ صِدْقٍ(1)، إِلىٰ يَوْمِ الدِّينِ ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَهَا مِنَ الفَضَائِلِ إِلاَّ قِصَّةُ الإِفْكِ لَكَفَىٰ بِهَا فَضْلاً ، فَكَيْفَ وَفَضَائِلُهَا جَمَّةٌ تَفُوقُ الحَصْرَ ؟!! .

ولَهَذَا قَالَ : « أيْ : هُم بُعَداءُ
عَمَّا يَقُولُهُ أَهْلُ الإِفْكِ والعُدْوَانِ ، أيْ بِسَبَبِ مَا
قِيْلَ فِيْهِم مِنَ الكَذِبِ ، أَيْ : عِنْدَ اللهِ جَنَّاتِ
النَّعَيْمِ،وَفِيْهِ وَعْدٌ بِأَنْ تَكُونَ زَوْجَةَ رَسُولِ اللهِ ـ ﷺ ـ فِي الجَنَّةِ » . اهـ .

وَقَالَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الوَهَّابِ التَّمِيْمِيُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ فِي رِسَالَتِه المُسمَّاة « رِسَالَة فِي الرَّدِّ عَلَىٰ الرَّافِضَة » (ص٢٥-٢٦) :

« وَمَنْ يَقذِفُ الطَّيِّبَةَ الطَّاهِرَةَ أُمَّ المُؤْمنِيْنَ زَوْجَةَ رَسُولِ اللهِ ـ ﷺ ـ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ ـ لِمَا صَحَّ ذَلِكَ عَنْهُ ، فَهُو مِنْ ضَرْبِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَي ابْنِ سَلُولَ رَأْسِ المُنَافِقِيْن، وَلِسَانُ حَالِ رَسُولِ اللهِ ـ ﷺ ـ يَقُولُ : « يا مَعْشَرَ المُسْلِمِيْنَ ، مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي

[الأحزاب : ٥٧] .

فَأَيْنَ أَنْصَارُ دِيْنه الَّذِيْن يَقُولُونَ لَهُ :نَحْنُ نَعْذِرُك يَا رَسُولَ اللهِ » . اهـ .

(1) لِسَانُ صِدْقٍ ، أَيْ : ثَنَاء حَسَن .

قَالَ حسَّانُ بْنُ ثَابِت ـ رضي الله عنه ـ يَعْتَذِرُ مِنَ الَّذِي كَانَ قَالَ فِي عائشةَ ـ رضي الله عنها ـ :

رَأَيْتُكِ ـ وَلْيَغْفِرْ لَكِ اللهُ ـ حُرَّةً
مِنَ المُحْصَنَاتِ(١) غَيْرِ ذَاتِ غَوَائِلِ(٢)
حَصَانٌ(٣) رَزَانٌ(٤) مَا تُزَنُّ(٥) بِرِيبَةٍ(٦)
وَتُصْبِحُ غَرْثَى(٧) مِنْ لُحُومِ الغَوَافِلِ(٨)

---

(١) المُحْصَنَات ـ بِفَتْحِ الصَّاد وكَسْرِهَا ـ العفائف .
(٢) الغَوَائِل : الدَّوَاهِي والشُّرور ، واحدَتُهَا غَائِلَةٌ .
(٣) حَصَانٌ ـ بِزِنَة سَحَاب ـ عَفِيفَة ، والجَمْع حُصُنٌ ، وَحَصَانَاتٌ .
(٤) رَزَان ـ بِزِنَة سَحَاب ـ ذَاتُ ثَبَات وَوَقَار ومُلازَمَة لِموضِعِهَا ، لا تَنْصَرِف كَثِيرًا ، وامْرَأَة رَزَان إِذَا كَانَتْ ذَاتَ ثَبَات وَوَقَار وَعَفَاف .
(٥) مَا تُزَنُّ : مَا تُتَّهَم ، مِنْ أَزَنَّهُ بِشيء : إِذَا اتَّهَمَهُ بِهِ .
(٦) الرِّيْبَة ـ بالكَسْر ـ التُّهمَة ، والجَمْع رِيَبٌ .
(٧) غَرْثَى : جَائِعَة ، والجَمْع غِرَاث .
(٨) الغَوَافِل : جَمْع غَافِلَة ، أَرَادَ بِهَا : الغَافِلَةَ القَلْبِ عَنِ الشَّرِّ ، والمَعْنَى : تُصْبِحُ ضَامِرَةَ البَطْنِ مِنِ اغْتِيَابِ النَّاسِ .

وإنَّ الَّذي قَدْ قِيلَ لَيْسَ بِلائِقٍ

بكَ الدَّهْرَ ، بَلْ قِيلُ امْرِئٍ مُتَحامِلِ[١]

فَإِنْ كُنْتُ أَهْجُوكُمْ كَمَا بَلَّغُوكُمُ

فَلاَ رَفَعَتْ سَوْطِي إِلَيَّ أَنَامِلي[٢]

وَكَيْفَ وَوُدِّي ـ مَا حَيِيتُ ـ ونُصْرَتي

لآلِ رَسُولِ اللهِ زَيْنِ المَحَافِلِ[٣]

وَإِنَّ لَهُمْ عِزاً ، يُرَىٰ النَّاسُ دُونَهُ

قِصَاراً، وَطَالَ العِزُّ كُلَّ التَّطَاوُلِ

عَقِيْلَةُ[٤] حَيٌّ مِنْ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبٍ

كِرَامِ المَسَاعِي مَجْدُهُمْ غَيْرُ زَائِلِ

---

(١) مُتَحَامِلِ ، أيْ حَمَلَهُ الحِقْد والحَسَد أو النِّفَاق عَلَىٰ البُهْت .

(٢) السَّوْط ـ بالفَتْح ـ المِقرَعَة الَّتي يُضْرَبُ بها ، سُمِّيَتْ سَوْطًا ؛ لأنَّها تَخْلِطُ اللَّحْمَ بالدَّمِ ، والجَمْعُ أَسْوَاطٌ ، وَسِيَاطٌ .

(٣) المَحَافِلِ : جَمْع المَحْفِلِ ـ بزِنَة المَجْلِس ـ ، وَهُوَ مُجْتَمَعُ القَوْمِ .

(٤) العَقِيْلَة : الكَرِيْمَةُ المُنْحَدِّرة، والجَمعْ العَقَائِلُ .

مُهَذَّبَةٌ (١) قَدْ طَيَّبَ اللهُ خِيمَهَا(٢)
وَطَهَّرَهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَبَاطِلِ(٣)

[١٣] ابْتِدَاؤُهُ ـ ﷺ ـ حِينَ أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ آيَةُ التَّخْيِيرِ وحُسْنُ جَوَابِهَا :

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رضي الله عنهما ـ قَالَ : لَمْ أَزَلْ حَرِيصًا عَلَىٰ أَنْ أَسْأَلَ عُمَرَ ـ رضي الله عنه ـ عَنِ المرأَتَيْنِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ـ ﷺ ـ اللَّتَيْنِ قَالَ اللهُ لَهُمَا : ﴿ إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ(٤) قُلُوبُكُمَا ﴾ [التحريم : ٤] .

فَحَجَجْتُ مَعَهُ ، فَعَدَلَ (٥) وَعَدَلْتُ مَعَهُ

(١) المَسَاعِي : المآثر ، سُمِّيت المَأْثُرَةُ مَسْعَاةً ؛ لأَنَّهَا يُسْعَىٰ فِيهَا .
(٢) الخِيْم ـ بالكَسْرِ ـ السَّجِيَّة والطَّبية .
(٣) دِيْوَان حَسَّان (٣٨٠-٣٨١) .
(٤) صَغَتْ : مَالَتْ وَعَدَلَتْ عنِ الحَقِّ ، والمَعْنىٰ : إِن تَتُوبَا إِلىٰ اللهِ فَقَد وُجِدَ مِنْكُمَا مَا يُوجِبُ التَّوْبَةَ ، وَهُوَ أَنَّهُمَا أَحَبَّتَا مَا كَرِهَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ مِنْ إِفْشَاءِ السِّرِّ الَّذي كَانَ قَدْ أَسَرَّهُ لِحَفْصَةَ ، فَتَحَدَّثَتْ بِهِ عَائِشَةَ ، وَكَانَتَا مُتَصَافِيَتَيْنِ .
(٥) فَعَدَلَ ـ مِنْ بَابَيْ ضَرَبَ وَجَلَسَ ـ مَال وَحَادَ عَنِ الطَّرِيقِ الجَادَّةِ المَسْلُوكَةِ إِلىٰ طَرِيْقٍ لا تُسْلَكُ غَالبًا ، لِيَقْضِيَ حَاجَتَهُ .

بالإِدَاوَة (١) فَتَبَرَّزَ ، ثُمَّ جَاءَ فَسكَبْتُ عَلَىٰ يَدَيْه مِنَ الإِدَاوَة فَتَوَضَّأ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ ، مَنِ المرأتَان مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ - ﷺ - اللَّتَان قَالَ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - لَهُمَا: ﴿ إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما ﴾ .

فَقَالَ : وَاعَجَبِي لَكَ يَابْنَ عَبَّاسٍ ! ، عَائِشَة وَحَفْصَةُ ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ عُمَرُ الحَدِيْثَ يَسُوقُهُ ، فقَال:

إِنِّي كُنْتُ وَجَارٌ لِي مِنَ الأَنْصَارِ فِي بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ، وَهِيَ مِنْ عَوَالِي (٢) المَدِيْنَة ، وكُنَّا نَتَنَاوَبُ النُّزُولَ عَلَىٰ النَّبِيِّ - ﷺ - فَيَنْزِلُ يَوْمًا ، وَأَنْزِلُ يَوْمًا ، فَإِذَا نَزَلْتُ جِئْتُهُ مِنْ خَبَرِ ذَلِكَ اليَوْمِ مِنَ الأَمْرِ وَغَيْرِه، وإِذَا نَزَلَ فَعَلَ مِثْلَهُ ، وَكُنَّا - مَعْشَرَ قُرَيْشٍ - نَغْلِبُ

(١) الإِدَاوة - بالكَسْر - إِنَاءٌ صَغِيرٌ مِنْ جِلْدٍ يُتَّخَذُ للمَاء ، والجَمْع أَدَاوَىٰ.

(٢) العَوَالِي : قُرَىً بأَعْلَىٰ المَدِيْنَة ، وأَدْنَاهَا مِنَ المَدِيْنَة عَلَىٰ أَرْبَعَة أَمْيَال، وأَبْعَدَهَا مِنْ جِهَةِ نَجْدٍ ثَمَانِيَة ، وَقَدْ كَانَتْ مَنَازِلَ الأَوْسِ ، وَاحِدَتُهَا عَالِيَةٌ ، والنِّسْبَةُ إِلَيْهَا : عَالِيٌّ ، وَعُلْوِيٌّ - بالضَّمِّ - نَادِرَةٌ .

النِّسَاءَ (١) ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَىٰ الأَنْصَار ، إِذَا هُمْ قَوْمٌ تَغْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ ، فَطَفِقَ نِسَاؤُنَا تَأْخُذْنَ مِنْ أَدَبِ نِسَاءِ الأَنْصَارِ ، فَصِحْتُ عَلَىٰ امْرَأَتِي فَرَاجَعَتْنِي (٢) ، فَأَنْكَرْتُ أَنْ تُرَاجِعَنِي ، فَقَالَتْ : وَلِمَ تُنْكِرُ أَنْ أُرَاجِعَكَ ؟! ، فَوَاللهِ ، إِنَّ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ـ ﷺ ـ لَيُرَاجِعْنَهُ ، وَإِنَّ إِحْدَاهُنَّ لَتَهْجُرُهُ اليَوْمَ حَتَّىٰ اللَّيْلِ ، فَأَفْزَعَنِي (٣) ، فَقُلْتُ : خَابَتْ مَنْ فَعَلَتْ مِنْهُنَّ بِعَظِيمٍ ، ثُمَّ جَمَعْتُ عَلَيَّ ثِيَابِي ، فَدَخَلْتُ عَلَىٰ حَفْصَةَ ، فَقُلْتُ : أَيْ حَفْصَةُ ، أَتُغَاضِبُ إِحْدَاكُنَّ رَسُولَ اللهِ ـ ﷺ ـ اليَوْمَ حَتَّىٰ اللَّيْلِ ؟!، فَقَالَتْ: نَعَمْ ، فَقُلْتُ : خَابَتْ وَخَسِرَتْ ! ، أَفَتَأْمَنِي أَنْ يَغْضَبَ اللهُ لِغَضَبِ رَسُولِهِ ـ ﷺ ـ فَتَهْلَكِينَ ؟!، لاَ تَسْتَكْثِرِي (٤)

---

(١) نَغْلِبُ النِّسَاء ، أَيْ : نَحْكُم عَلَيْهِنَّ ، ولا يَحْكُمْنَ عَلَيْنَا .
(٢) رَاجَعَتْنِي : رَاوَدَتْنِي فِي الكَلامِ ، ونَاظَرَتْنِي فِيهِ .
(٣) فَأَفْزَعَنِي أَيْ : القَوْلُ .
(٤) لا تَسْتَكْثِرِي : لا تَطْلُبِي الكَثِيرَ .

عَلىٰ رَسُولِ اللهِ ـ ﷺ ـ ، وَلاَ تُرَاجِعيهِ فِي شَيءٍ ، وَلاَ تَهْجُرِيْهِ ، وَسَلِيْنِي مَا بَدَا [١] لَكِ ، وَلاَ يَغُرَّنَّكِ أَنْ كَانَتْ جَارَتُكِ [٢] هِيَ أَوْضَأَ [٣] مِنْكِ ، وَأَحَبَّ إِلىٰ رَسُولِ اللهِ ـ ﷺ ـ « يُرِيْدُ عَائِشَةَ » ، وَكُنَّا تَحَدَّثْنَا أَنَّ غَسَّانَ تُنْعِلُ النِّعَالَ [٤] لِغَزْوِنَا ، فَنَزَلَ صَاحِبِي يَوْمَ نَوْبَتِهِ ، فَرَجَعَ عِشَاءً ، فَضَرَبَ بَابِي ضَرْبًا شَدِيْدًا ، وَقَالَ : أَنَائِمٌ هُوَ ؟ [٥] ، فَفَزِعْتُ فَخَرَجتُ إِلَيْهِ ، وَقَالَ : حَدَثَ أَمْرٌ عَظِيْمٌ ، قُلْتُ : مَا هُوَ ؟ ، أَجَاءَتْ

---

(١) بَدَا : ظَهَر ، وَبَابُهُ سَمَا .

(٢) جَارَتُكِ : ضَرَّتكِ ، والعَرَبُ تُطْلِقُ عَلىٰ ضَرَّةِ المرأَة جَارَةً ، لتجَاوُرِهِمَا المعْنَويِّ لِكَوْنِهَا عِنْدَ شَخْصٍ وَاحِدٍ ، وإِنْ لَمْ يَكُنْ حِسِّيًّا فَاخْتَارَ عُمَرُ تَسْمِيَتَهَا جَارَةً أَدَبًا مِنْهُ أَنْ يُضَافَ الضَّرَرُ إِلىٰ أَحَدٍ مِنْ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِيْن .

(٣) أَوْضَأَ : أَوْسَم وَأَجْمَل .

(٤) تُنْعِلُ النِّعَالَ أَيْ : تُلْبِسُ الخَيْلَ النِّعَالَ ، والنِّعَال : جَمْعَ نَعْلٍ ، وَهُوَ مَا وُقِيَ بِه حَافِرُ الدَّابَّة مِنَ الأَرْض .

(٥) قَالَ ذَلِكَ لِبُطْءِ إِجَابَتِهِمْ لَهُ ، فَظَنَّ أَنَّهُ نَائِم .

غَسَّانُ ؟ ، قَالَ : لا ، بَلْ أَعْظَمُ مِنْه وَأَهْوَلُ [١] ، طَلَّقَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ نِسَاءَهُ ، قَالَ : قَدْ خَابَتْ [٢] حَفْصَةُ وَخَسِرَتْ ، كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ هَذَا يُوشِكُ [٣] أَنْ يَكُونَ ، فَجَمَعْتُ عَلَيَّ ثِيَابِي ، فَصَلَّيْتُ صَلاةَ الفَجْرِ مَعَ النَّبِيِّ ـ ﷺ ـ فَدَخَلَ مَشْرُبَةً [٤] لَهُ ، فَاعْتَزَلَ فِيهَا ، فَدَخَلْتُ عَلَىٰ حَفْصَةَ [٥] ، فَإِذَا هِيَ تَبْكِي ، قُلْتُ : مَا يُبْكِيكِ ؟ ، أَوَلَمْ أَكُنْ حَذَّرْتُكِ ؟! ، أَطَلَّقَكُنَّ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ ؟ ، قَالَتْ : لا أَدْرِي ، هُوَ ذَا فِي المَشْرُبَةِ ، فَخَرَجْتُ فَجِئْتُ المِنْبَرَ ، فَإِذَا حَوْلَهُ رَهْطٌ

---

(١) هُوَ بالنِّسْبَةِ إِلَىٰ عُمَرَ ؛ لكَون حَفْصَةَ بِنْته مِنْهُنَّ ، فَسَتَنْقَطِعُ الوُصْلَةُ بَيْنَ عُمَرَ وَرَسُولِ اللهِ ـ ﷺ ـ بطَلاق ابْنَته .

(٢) خَابَتْ : حُرِمَتْ وَلَمْ تَنَلْ مَا طَلَبَتْ .

(٣) يُوشِكُ : يَقْرب .

(٤) المَشْرَبَة : بِضَمِّ الرَّاءِ وَفَتْحِهَا ـ : الغُرْفَة العَالِيَة ، والجَمْعُ مَشَارِبُ ، وَمَشْرَبَاتٌ .

(٥) إِنَّمَا خَصَّهَا بالذِّكْرِ ؛ لكَوْنِهَا بِنْتَهُ ، وَلكَونه كَانَ قَرِيبَ العَهْدِ بِتَحْذِيرِهَا مِنْ وُقُوعِ ذَلِكَ ، وَلِكَوْنِهَا كَانَت السَّبَبَ مَعَ عَائِشَةَ فِي ذَلِكَ .

يَبْكي بَعْضُهُمْ ، فَجَلَسْتُ مَعَهُمْ قَليْلاً ، ثُمَّ غَلَبَني مَا أَجِدُ ، فَجِئتُ المَشْرُبَةَ الَّتي هُوَ فيْهَا ، فَقُلْتُ لِغُلامٍ لَهُ أسْوَدَ : اسْتَأْذِنْ لِعُمَرَ ، فَدَخَلَ فَكَلَّم النَّبيَّ - ﷺ - ثُمَّ خَرَجَ ، فَقَالَ : ذَكَرْتُكَ لَهُ فَصَمَتَ ، فَانْصَرَفتُ حَتَّىٰ جَلَسْتُ مَعَ الرَّهْطِ الَّذيْنَ عِنْدَ المِنْبَرِ ، ثُمَّ غَلَبَني مَا أَجِدُ ، فَجِئْتُ فَذَكَرَ مِثْلَهُ ، فَجَلَسْتُ مَعَ الرَّهْطِ الَّذيْنَ عِنْدَ المِنْبَرِ، ثُمَّ غَلَبَني مَا أَجِدُ ، فَجِئْتُ الغُلامَ ، فَقُلْتُ: اسْتَأذِنْ لِعُمَر، فَذَكَرَ مِثْلَهُ، فَلَمَّا وَلَّيْتُ مُنْصَرِفًا ، فَإِذَا الغُلامُ يَدْعُونى ،قَالَ: أَذِنَ لَكَ رَسُولُ اللهِ - ﷺ - ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ ، فإِذَا هُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَىٰ رِمَالِ حَصِيرٍ (١) ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فِراشٌ ، قَدْ أَثَّرَ الرِّمَالُ بِجَنْبِهِ ،مُتَّكِئٌ عَلَىٰ وِسَادَةٍ مِنْ أَدَمٍ (٢) ،حَشْوُهَا لِيفٌ ،

(١) رُمَال الحَصِيْر - بالكَسْرِ والضَّمِّ - ضُلُوعه المُتَداخِلَة بِمَنْزِلَة الخُيُوطِ فِي الثَّوْب .

(٢) والأَدَم - بالتَّحْرِيك - : الجِلْد المَدْبُوغ .

فَسَلَّمْتُ عَلَيْه ، ثُمَّ قُلْتُ ـ وَأَنَا قَائِمٌ ـ : طَلَّقْتَ نِسَاءَكَ ؟ ، فَرَفَعَ بَصَرَهُ إِلَيَّ ، فَقَالَ : « لا » ، ثُمَّ قُلْتُ ـ وَأَنَا قَائِمٌ أَسْتَأْنِسُ ـ : يَا رَسُولَ اللهِ ، لَو رَأَيْتَنِي وَكُنَّا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ـ نَغْلِبُ النِّسَاءَ ، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَىٰ قَومٍ تَغْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ ، فَذَكَرَهُ ، فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ ـ ﷺ ـ ، ثُمَّ قُلْتُ : لَو رَأَيْتَنِي وَدَخَلْتُ عَلَىٰ حَفْصَةَ ، فَقُلْتُ : لا يَغُرَّنَّكَ أَنْ كَانَتْ جَارَتُكِ هِيَ أَوْضَأَ مِنكِ، وَأَحَبَّ إِلَىٰ النَّبِيِّ ـ ﷺ ـ « يُرِيدُ عَائِشَةَ »، فَتَبَسَّمَ أُخْرَىٰ، فَجَلَسْتُ حِينَ رَأَيْتُهُ تَبَسَّمَ ، ثُمَّ رَفَعْتُ بَصَرِي فِي بَيْتِه ، فَوَاللهِ ، مَا رَأَيْتُ مِنْه شَيْئًا يَرُدُّ البَصَرَ غَيْرَ أَهَبَةٍ ثَلاثَةٍ (١)،فَقُلْتُ : ادْعُ اللهَ فَلْيُوَسِّعْ عَلَىٰ أُمَّتِكَ ، فَإِنَّ فَارِسَ وَالرُّومَ وُسِّعَ

---

(١) أَهَبَة ـ بُفَتْح الهَمْزَة وَضَمِّهَا ـ ، وَفَتْحِ الهَاء ـ بِمَعْنَىٰ الأَهَب ، والهَاء فيْه للمُبَالَغَة ، والأَهَب ، جَمْع إِهَابٍ ـ عَلَىٰ غَيْرِ قِيَاسٍ ـ ،وَهُوَ الجِلْدُ، وَالْمُرَادُ بِه هُنَا : جِلْدٌ شُرِعَ فِي دَبْغِـه وَلَمْ يَكْمُل ، وَيَجْمَع ـ أَيْضًا ـ عَلَىٰ آهِبَةٍ .

عَلَيْـهِـم، وَأُعْطُوا الدُّنْيَا وَهُـمْ لا يَعْـبُـدُونَ اللهَ ، وَكَـانَ مُتَّكِئًا ، فَقَالَ : « **أَوَفِي شَكٍّ أَنْتَ يَا بْنَ الخَطَّابِ ؟ ! ، أُولَئِكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهم فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا** » .

فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، اسْتَغْفِرْ لِي ، فَاعْتَزَلَ النَّبِيُّ - ﷺ - مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ الحَدِيْثِ حِيْنَ أَفْشَتْهُ حَفْصَةُ إِلَىٰ عَائِشَةَ ، وَكَانَ قَدْ قَالَ : مَا أَنَا بِدَاخِلٍ عَلَيْهِنَّ شَهْرًا مِنْ شِدَّةِ مَوْجِدَتِه (١) ، عَلَيْهِنَّ حِيْنَ عَاتَبَهُ اللهُ ، فَلَمَّا مَضَتْ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ دَخَلَ عَلَىٰ عَائِشَةَ فَبَدَأَ بِهَا ، فَقَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ : إِنَّكَ أَقْسَمْتَ أَلا تَدْخُلَ عَلَيْنَا شَهْرًا ، وَإِنَّا أَصْبَحْنَا بِتِسْعٍ وَعِشْرِيْنَ لَيْلَةً ، أَعُدُّهَا عَدًّا فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ - : « الشَّهْرُ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ » ، وَكَانَ ذَلِكَ الشَّهْرُ تِسْعًا وَعِشْرِين ، قَالَتْ عَائِشَةُ : فَأُنْزِلَتْ آيَةُ التَّخْيِيرِ ، فَبَدَأَ بِي أَوَّلَ امْرَأَةٍ ، فَقَالَ : إِنِّي ذَاكِرٌ

---

(١) المَوْجِدَةَ - بِفَتْحِ المِيْمِ وَكَسْرِ الجِيْمِ - الغَضَبُ .

لَكَ أَمْرًا ، ولاَ عَلَيْكِ أَلا تَعْجَلِي حَتَّىٰ تَسْتَأْمِري أَبَوَيْكِ » ، قَالَتْ : قَدْ أَعْلَمُ أَنَّ أَبَوَيَّ لَمْ يَكُونَا يَأْمُرَانِي بِفِرَاقِكَ ، ثُمَّ قَالَ : « إِنَّ اللهَ قَالَ : ﴿ يا أيُّها النَّبيُّ قُل لأَزْواجِكَ إن كُنتنَّ تُرِدْنَ الْحياةَ الدُّنْيا وزينتَها فَتَعالَيْنَ أُمتِّعْكُنَّ وأُسرِّحْكُنَّ سراحًا جميلاً (٢٨) وإن كُنتنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ ورسُولَهُ والدَّار الآخرة فإنَّ اللَّه أعدَّ للْمُحسنات منكُنَّ أجرًا عظيمًا (٢٩) ﴾ [الأحزاب : ٢٨-٢٩] .

قُلْتُ : أَفِي هَذَا أَسْتَأْمِرُ أبويَّ ، فَإِنِّي أُرِيدُ اللهَ وَرَسُولَهُ والدَّارَ الآخِرَةَ ، ثُمَّ خَيَّرَ نِسَاءَهُ ، فَقُلْنَ مِثْلَمَا قَالَتْ عَائِشَةُ [١] .

[١٤] بَركَتُها بِتَوسِعَةِ اللهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ عَلَى الأُمَّةِ بِرُخْصَةِ التَّيَمُّمِ :

عَنْ عَائِشَةَ ـ رضي الله عنها ـ قَالَتْ : خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ

(١) أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ ـ واللفظ لَهُ ـ (٢٤٦٨) ، ومُسْلِم (١٤٧٩/ ٣٠) .

- ﷺ - فِي بَعْضِ أَسْفَارِه ، حَتَّىٰ إِذَا كُنَّا بِالبَيْدَاء (١) أو بِذَاتِ الجَيْشِ (٢) ، انْقَطَعَ عِقْدٌ لِي فَأَقَامَ رَسُولُ اللّٰه - ﷺ - عَلَىٰ الْتِمَاسِه (٣) ، وَأَقَامَ النَّاسُ مَعَهُ وَلَيْسُوا عَلَىٰ مَاءٍ ، فَأَتَىٰ النَّاسُ إِلَىٰ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيْقِ ، فَقَالُوا : ألا تَرَىٰ ما صَنَعَتْ عَائشَةُ ؟ ، أَقَامَتْ بِرَسُول اللّٰه - ﷺ - والنَّاسِ ، وَلَيْسُوا عَلَىٰ مَاءٍ ، وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ وَرَسُولُ اللّٰهِ - ﷺ - وَاضِعٌ رَأْسَهُ عَلَىٰ فَخِذِي قَدْ نَامَ ، فَقَالَ : حَبَسْتِ رَسُولَ اللّٰه - ﷺ - والنَّاسَ ، وَلَيْسُوا عَلَىٰ مَاءٍ ، وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَاءٌ ، فَقَالَتْ عَائشَةُ : فَعَاتَبَنِي أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ مَا شَاءَ اللّٰهُ أَنْ يَقُولَ ، وَجَعَلَ يَطْعُنُنِي بِيَدِه فِي خَاصِرَتِي ، فَلاَ يَمْنَعُنِي مِنَ التَّحَرُّكِ إِلا مَكَانُ رَسُولِ اللّٰه - ﷺ - عَلَىٰ فَخِذِي، فَقَامَ رَسُولُ

(١) البَيْدَاءَ - بِزِنَة الحَمْرَاءِ - هِيَ ذُو الحُلَيْفَةِ عَلَىٰ سِتَّة أَمْيَالٍ مِن المَدِيْنَة مِنْ طَرِيقِ مَكَّةَ .

(٢) ذَاتَ الجَيْشِ : وادٍ وَرَاءَ ذِي الحُلَيْفَةِ عَلَىٰ بَرِيْدٍ مِنَ المَدِيْنَة .

(٣) الْتِمَاسِه : طَلَبه .

اللهِ ـ ﷺ ـ حِينَ أَصْبَحَ عَلَىٰ غَيْرِ مَاءٍ ، فَأَنْزَلَ اللهُ آيَةَ التَّيَمُّمُ ، فَتَيَمَّمُوا ، فَقَالَ أُسَيْدُ بْنُ الحُضَيْرِ : مَا هِيَ بِأَوَّلِ بَرَكَتِكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ .

« وَفِي رُوَايَةٍ قَالَ : جَزَاكِ اللهُ خَيْرًا ، فَوَاللهِ ، مَا نَزَلَ بِكِ أَمْرٌ قَطُّ ، إِلاَّ جَعَلَ اللهُ لَكِ مِنْهُ مَخْرَجًا ، وَجَعَلَ لِلْمُسْلِمِينَ فِيهِ بَرَكَةً » .

قَالَتْ : فَبَعَثْنَا البَعِيرَ الَّذِي كُنْتُ عَلَيْهِ ، فَأَصَبْنَا العِقْدَ تَحْتَهُ (١) .

[١٥] اختيار النبي ـ ﷺ ـ الإقَامَةَ عِنْدَهَا أَيَّام مرضِ موْتِهِ ، واخْتِصَاصُهَا بِمبَاشرةِ خِدْمَتِهِ ، واخْتِلاطُ رِيقِهِ بِرِيقِهَا ، وَقَبْضُ اللهِ لَهُ فِى نَوْبَتِهَا وَهُوَ بَيْنَ سَحْرِهَا وَنَحْرِهَا ، وَدَفْنُهُ فِي بَيْتِهَا :

عَنْ عَائِشَةَ ـ رضي الله عنها ـ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ـ ﷺ ـ كَانَ

(١) أَخْرَجَهُ البُخَارِي (٣٣٤) ، وَمُسْلِم (٣٦٧/ ١٨٠ ، ١٠٩) .

يَسْأَلُ فِي مَرَضِه الَّذي مَاتَ فيْه ، يَقُولُ : « أَيْنَ أَنَا غَدًا ؟ ،أَيْنَ أَنَا غَدًا ؟ » .

يُرِيْدُ يَوْمَ عَائِشَةَ ، فَأَذِنَ لَهُ أَزْوَاجُهُ يَكُونُ حَيْثُ شَاءَ ، فَكَانَ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ ، حَتَّىٰ مَاتَ عِنْدَهَا .

قَالَتْ عَائِشَةَ - ﵂ - : فَمَاتَ فِي الْيَوْمِ الَّذي كَانَ يَدُورُ عَلَيَّ فِيْه فِي بَيْتِي ، فَقَبَضَهُ اللهُ وَإِنَّ رَأْسَهُ لَبَيْنَ نَحْرِي[١] وَسَحْرِي[٢] ، وَخَالَطَ رِيقُهُ رِيْقِي .

ثُمَّ قَالَتْ - ﵂ -: دَخَلَ عَبْدُ الرَّحْمَن بْنُ أَبِي بَكْرٍ، وَمَعَهُ سِوَاكٌ يَسْتَمِدُّ[٣] به ، فَنَظَرَ إِلَيْه رَسُولُ اللهِ - ﷺ - فَقُلْتُ لَهُ : أَعْطِنِى هَذَا السِّوَاكَ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ ، فَأعْطَانِيهِ ، فَقَضِمْتُهُ[٤] ، ثُمَّ

---

(١) النَّحْر - بالفَتْح - المُرادُ به المَنْحَرُ ، وَهُوَ مَوْضَعُ القِلادَةُ من الصَّدْرِ .
(٢) السَّحْر - بالفَتْحِ - الصَّدْر ، وَهُو فِي الأَصْلِ : الرِّئَة ، والمُرَاد : أَنَّهُ - عَلَيْه الصَّلاة والسَّلام - مَاتَ وَرَأْسُهُ بَيْنَ حَنَكِهَا وَصَدْرِهَا .
(٣) يَسْتَمِدُّ : يَسْتَاك .
(٤) فَقَضِمْتُهُ : أيْ : مَضَغْتُهُ بِأَسْنَانِي ، وَبَابُهُ فَهِمَ .

مَضَغْتُهُ (١)، فَأعْطَيْتُهُ رَسُولَ اللهِ ـ ﷺ ـ فَاسْتَنَّ بِهِ، وَهُوَ مُسْتَنِدٌ إِلىٰ صَدْرِي (٢) .

وَعَنْهَا قَالَتْ : إِنْ كَانَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ لَيَتعَذَّر (٣) فِي مَرَضِهِ : « أَيْنَ أَنَا غَداً ؟ ،أَيْنَ أَنَا غَداً ؟ » .

اسْتَبْطَاءً لِيَوْمِ عَائِشَةَ ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمِي قَبَضَهُ اللهُ بَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي ، وَدُفِنَ فِي بَيْتِي (٤) .

[١٦] سَعَةَ عِلْمِهَا ، وَجَزَالَةُ بَلاغَتِهَا ، وَكَوْنُهَا أَفْقَهُ النِّسَاءِ مُطْلَقًا :

عَنْ أَبِي مُوسَىٰ الأَشْعَرِيِّ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ : « ما أَشْكَلَ عَلَيْنَا ـ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ـ ﷺ ـ حَدِيْثٌ قَطُّ ،

(١) مَضَغْتُهُ : أيْ : لُكْتُهُ بِأَسْنَانِي ، وبَابُهُ مَنَعَ وَنَصَرَ .
(٢) أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ ـ واللَّفْظُ لَهُ ـ (٤٤٥٠) ، وَمُسْلم (٢٤٤٣ / ٨٤) .
(٣) لِيَتَعَذَّر : لِيَتَمَنَّع وَيَتَعَسَّر .
(٤) أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ (١٣٨٩) .

فَسَأَلْنَا عَائِشَةَ ، إلا وَجَدْنَا عِنْدَهَا مِنْهُ عِلْمًا » (١) .

وَعَنْهُ - أَيْضًا - قَالَ : اخْتَلَفَ رَهْطٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ والأنْصَارِ ، فَقَالَ الأنْصَارِيُّون : لا يَجِبُ الغُسْلُ إلا مِنَ الدَّفْقِ أَوْ مِنَ المَاءِ .

وَقَالَ الْمُهَاجِرُونَ : بَلْ إِذا خَالَطَ فَقَدْ وَجَبَ الغُسْلُ.

قَالَ: قَالَ أَبُو مُوسَىٰ : فَأَنَا أَشْفِيكُم مِنْ ذَلِكَ ، فَقُمْتُ فاسْتأذَنْتُ عَلَىٰ عَائِشَةَ ، فَأُذِنَ لِي ، فَقُلْتُ لَهَا : يَا أُمَّاهُ - أَوْ يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِيْن - إِنِّي أُرِيْدُ أَنْ أَسْأَلَكِ عَنْ شَيءٍ ، وإِنِّي أَسْتَحْيِيْكِ .

فَقَالَتْ : لا تَسْتَحْيِي أَنْ تَسأَلَنِي عَمَّا كُنْتَ سَائِلاً أُمَّكَ الَّتِي وَلَدَتْكَ ، فإِنَّمَا أَنَا أُمُّكَ .

قُلْتُ : فَمَا يُوجِبُ الغُسْلَ ؟ .

(١) «صَحِيْحٌ » أخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ (٣٨٨٣) وقال: حَسَنٌ صَحِيْحٌ ، وَصَحَّحَ إِسْنَادَهُ الذَّهَبِيُّ فِي « السِّيَر » (٢ / ١٧٩) .

قَالَتْ : عَلَىٰ الخَبِيرِ سَقَطْتَ (١) ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **إِذَا جَلَسَ بَيْنَ شُعَبِهَا (٢) الأَرْبَعِ ، وَمَسَّ الخِتَانُ (٣) الخِتَانَ ، فَقَدْ وَجَبَ الغُسْلُ** » (٤) .

وَكَانَتْ - رضي الله عنها - تَسْتَدْرِكُ عَلَىٰ الصَّحَابَةِ فِي بَعْضِ المَسَائِلِ .

فَعَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ : كُنْتُ أَنَا وابْنُ عُمَرَ مُسْتَنِدَيْنِ إِلَىٰ حُجْرَةِ عَائِشَةَ ، وإِنَّا لَنَسْمَعُ ضَرْبَهَا

---

(١) عَلَىٰ الخَبِيرِ سَقَطْتَ أَيْ : صَادَفْتَ خَبِيرًا بِحَقِيقَةِ مَا سَأَلْتَ عَنْهُ ، عَارِفًا بِخَفِيِّهِ وَجَلِيِّهِ ، حَاذِقًا فِيهِ .

(٢) الشُّعَبُ : جَمْعُ شُعْبَةٍ - بِالضَّمِّ - ، وَهِيَ القِطْعَةُ مِنَ الشَّيْءِ ، والمُرَادُ بِشُعَبِهَا الأَرْبَعِ : يَدَاهَا وَرِجْلاهَا ، كَنَىٰ بِذَلِكَ عَنْ تَغْيِيبِهِ الحَشَفَةَ فِي فَرْجِهَا .

(٣) الخِتَانُ - بِالكَسْرِ - مَوضِعُ القَطْعِ مِنْ ذَكَرِ الغُلامِ وَفَرْجِ الجَارِيَةِ ، وَكَنَىٰ بِتَمَاسِّهِمَا عَنْ غَيْبَةِ الحَشَفَةِ فِي فَرْجِ المَرْأَةِ ، حَتَّىٰ خِتَانُهُ بِحِذَاءِ خِتَانِهَا ، وَذَلِكَ أَنَّ مَدْخَلَ الذَّكَرِ مِنَ المَرأَةِ سَافِلٌ عَنْ خِتَانِهَا ؛ لأَنَّ خِتَانَهَا مُسْتَعْلٍ ، وَلَيْسَ المُرَادُ حَقِيقَةَ المَسِّ .

(٤) أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ (٢٩١) ، وَمُسْلِم - واللَّفْظُ لَهُ (٣٤٩ / ٨٨) .

تَسْتَنُّ بالسِّوَاكِ ، فَقُلْتُ : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، اعْتَمَرَ النَّبِيُّ - ﷺ - فِي رَجَبٍ ؟ .

قَال: نَعَمْ .

فَقُلْتُ لِعَائِشَةَ : أَيْ أُمَّتَاهُ ، أَلا تَسْتَمِعِينَ مَا يَقُولُ أَبُو عَبْدِ الرَّحمَنِ ؟! .

قَالَتْ : وَمَا يَقُولُ ؟ ، قَلْتُ : يَقُولُ : اعْتَمَرَ النَّبِيُّ - ﷺ - فِي رَجَبٍ .

فَقَالَتْ : يَغْفِرُ اللهُ لأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ، لَعَمْرِي، مَا اعْتَمَرَ فِي رَجَبٍ ، ومَا اعْتَمَرَ مِنْ عُمْرَةٍ إِلا وإِنَّهُ لَمَعَهُ .

قَالَ : وابْنُ عُمَرَ يَسْمَعُ ، فَمَا قَالَ : لا ، ولا نَعَمْ ، سَكَتَ [١] .

وَعَنْ شُرَيْحُ بْنِ هَانِئٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ :

---

(١) أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ (١٧٧٦)، وَمُسْلِم - واللَّفْظَ لَهُ (١٢٥٥ / ٢١٩).

قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ : « **مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ ، أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ ، كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ** » .

قَالَ شُرَيْحٌ : فَأَتَيْتُ عَائِشَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ ، فَقُلْتُ : يَا أُمَّ المُؤْمِنِينَ ، سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَذْكُرُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ـ ﷺ ـ حَدِيثًا ، إِنْ كَانَ كَذَلِكَ فَقَدْ هَلَكْنَا .

فَقَالَتْ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ: إِنَّ الهَالِكَ مَنْ هَلَكَ بِقَوْلِ رَسُولِ اللهِ ـ ﷺ ـ ، وَمَا ذَاكَ؟ .

قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ: «**مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ، أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ ، كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ** » . وَلَيْسَ مِنَّا أَحَدٌ إِلا وَهُوَ يَكْرَهُ المَوْتَ .

فَقَالَتْ : قَدْ قَالَهُ رَسُولُ اللهِ ـ ﷺ ـ ، وَلَيْسَ بِالَّذِي تَذْهَبُ إِلَيْهِ ، وَلَكِنْ إِذَا شَخَصَ البَصَرُ[1] ، وَحَشْرَجَ

---

(١) شُخُوص البَصَر :ارْتِفَاعُ الأَجْفَانُ إِلىٰ فوقُ، وَتَحدِيدُ النَّظَر وانْزِعَاجُهُ.

الصَّدْرُ (١)، واقْشَعَرَّ الجِلْدُ(٢)، وَتَشَنَّجَت الأَصَابِعُ(٣) ـ فَعِنْدَ ذَلِكَ ـ : «**مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ، أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ، كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ**» (٤).

وَعَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: «لَوْ جُمِعَ عِلْمُ نِسَاءِ هَذِهِ الأُمَّةِ، فِيهِنَّ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ـ ﷺ ـ كَانَ عِلْمُ عَائِشَةَ أَكْثَرَ مِنْ عِلْمِهِنَّ» (٥).

وَعَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ: «مَا رَأَيْتُ أَحَداً أَعْلَمَ بِالقُرآنِ، ولا بِفَرِيْضَةٍ، ولا بِالحَلالِ، وَلا بِالحَرَامِ، ولا بِفِقْهٍ، ولا بِطِبٍّ، ولا بِشِعْرٍ، ولا بِحَدِيْثِ العَرَبِ،

(١) الحَشْرَجَةُ: الغَرْغَرَة، وَتَرَدُّد النَّفَس فِي الصَّدْرِ.
(٢) اقْشَعَرَّ الجِلْدُ: قِيَامَ شَعَرِه.
(٣) تَشَنَّجَت الأَصَابِعُ: تَقَبَّضَتْ وَتَقَلَّصَتْ.
(٤) أخْرَجَهُ مُسْلِم (٢٦٨٥/١٧).
(٥) أخْرَجَهُ الطَّبَرَانِي فِي «الكَبِير» (١٨٤/٢٣)، وقَالَ الهَيْثَمِي عَنْهُ فِي المجمع (٢٤٣/٩): رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُ مُرْسَلاً، وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ.

وَلا بِنَسَبٍ ، مِنْ عَائِشَةَ » (١) .

وَعَنْهُ ـ أيضًا ـ قَالَ : « مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَعْلَمَ بِفِقْهٍ ، ولا طِبٍّ ، ولا شِعْرٍ مِنْ عَائِشَةَ ، وَلَمْ يَرْوِ امْرَأَةٌ ولا رَجُلٌ ـ غَيْرُ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ عَنْ رَسُولِ اللهِ ـ ﷺ ـ مِنَ الأَحَادِيْثِ بِقَدْرِ رِوَايَتِهَا (٢) ـ رضي الله عنها ـ » (٣) .

وَعَنِ القَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ : « كَانَتْ عَائِشَةُ قَدِ

---

(١) « حَسَنٌ » أخْرَجَهُ الحَاكِمُ فِي « المُسْتَدْرَك » (٤ / ١١) والطَّبَرَانِيُّ فِي « الكَبِيْر » (٢٣ / ١٨٢) ، وحَسَّن إِسْنَادَهُ الهَيْثَمِيُّ فِي « المجمع » (٩ / ٢٤٢) .

(٢) رُوِيَ لَهَا عَنْ رَسُولِ اللهِ ـ ﷺ ـ أَلْفَان وَمائَتَان وعَشَرَةُ أَحَادِيْثَ ، اتفَقَ لَهَا البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْهَا عَلىٰ مِائَةٍ وأَرْبَعَةٍ وَسَبْعِين حَدِيْثًا ، وانْفَرَدَ البُخَارِيُّ بِأَرْبَعَةٍ وَخَمْسِيْن ، وانْفَرَدَ مُسْلِمٌ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّيْن ، وَرَوَىٰ عَنْهَا خَلْقٌ كَثِيْرٌ مِنَ الصَّحَابَةِ والتَّابِعِيْن ـ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِم أَجْمَعِين ـ . ذَكَرَهُ النَّوَوِيُّ فِي « تَهْذِيْبِ الأَسْمَاءِ والصِّفَات » (٢ / ٣٥١) ، والذَّهَبِيُّ فِي « السِّيَر » (٢ / ١٣٩) .

(٣) أَوْرَدَهُ ابْنُ كَثِيْرٍ فِي « البِدَايَةِ والنِّهَايَة » (٨ / ٤٦٥) .

اسْتَقَلَّتْ بالفَتْوَىٰ زَمَنَ أَبِي بَكْرٍ ، وَعُمَرَ ، وعُثْمَانَ ، وَهَلُمَّ جَرًّا (١) إِلَىٰ أَنْ مَاتَتْ » (٢) .

وعَنْ مَسْرُوقٍ أَنَّه كَانَ يَحْلفُ بالله : « لَقَدْ رَأَيْتُ الأكَابرَ مِنْ أصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ـ ﷺ ـ يَسْأَلُونَ عَائِشَةَ عَنِ الفَرَائِضِ » (٣) .

(١) هَلُمَّ جرًّا : بمَعْنَىٰ : اسْتَدَامَ الأَمْرُ واتَّصَل .
(٢) أَنْسَابُ الأشْرَافِ » (٨ / ٤) .
(٣) « حَسَنٌ » أخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُ فِي « الكَبِيْر » (٢٣ / ١٨٢) ، والحَاكِمُ فِي « المُسْتَدْرَك » (٤ / ١١) ، وَحَسَّنَهُ الهَيْثَمِي فِي « المجمع » (٩ / ٢٤٢) .

تنْبيه :

مَا يَلْهَجُ به كَثيرٌ منَ الفُقَهَاء وعُلَمَاء الأُصُول منْ إيْرَاد حَديْث « خُذُوا نصْفَ دينْكُمْ منْ هذه الحُمَيْرَاء » ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لَهُ أَصْلٌ ، وَلا هُوَ مُثْبَتٌ فِي شَيْءٍ منْ أُصُولِ الإِسْلام .

قَالَ الحَافظُ ابْنُ حَجَرٍ في « تَخْرِيْج أَحَاديْث ابْنُ الحَاجب » : « لا أَعْرِفُ لَهُ إسْنَادًا ، وَلاَ رَأَيْتَهُ في شَيْءٍ منْ كُتُبِ الحَديْث إلا في « النِّهَايَة » لابْن الأثير ، ذَكَرَهُ في مَادَّة [ح م ر] ، وَلَمْ يَذْكُرْ مَنْ خَرَّجَهُ . وَذَكَرَ ابْنُ كَثيرٍ أنَّهُ سَأَلَ الحَافظيْن: المِزِّيَّ ،والذَّهَبِيَّ عَنْه فَلَمْ

وَعَنْ عُرْوَةَ وَقَدْ قِيلَ لَهُ : « مَا أَرْوَاكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ ! ـ وَكَانَ أَرْوَىٰ النَّاسِ لِلشِّعْرِ ـ ، فَقَالَ : « مَا رِوَايَتِي فِي رِوَايَةِ عَائِشَةَ ؟! ، مَا كَانَ يَنْزِلُ بِهَا شَيْءٌ إِلاَّ أَنْشَدَتْ فِيْهِ شِعْرًا » [١] .

وَعَنِ الشَّعْبِيِّ : أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ : « رَوَيْتُ لِلَبِيْدٍ نَحْوًا مِنْ أَلْفِ بَيْتٍ » .

وكَانَ الشَّعْبِيُّ يَذْكُرهَا ، فَيَتَعَجَّبُ مِنْ فِقْهِهَا وعِلْمِهَا، ثُمَّ يَقُولُ :« مَا ظَنُّكُم بِأَدَبِ النُّبُوَّةِ ؟! » [٢] .

يَعْرِفَاهُ . وَقَالَ السُّيُوطِيُّ فِي « الدُّرَر » : لَمْ أَقِفْ عَلَيْه . وَقَالَ الحَافِظُ عِمَادُ الدِّين فِي « تَخْرِيْج أَحَادِيْث مُخْتَصَر ابْن الحَاجِب » هُوَ حَدِيْثٌ غَرِيْبٌ جداً ، بَلْ هُوَ مُنْكَرٌ ، سَأَلْتُ عَنْهُ المِزِّيَّ ، فَلم يَعْرِفْهُ ، وَقَالَ : لَمْ أَقِفْ لَهُ عَلَىٰ سَنَد إِلىٰ الآن . وَقَالَ شَيْخُنَا الذَّهَبِيُّ : وَهُوَ مِنَ الأَحَادِيْث الوَاهِيَة الَّتي لا يُعْرَفُ لَهَا إِسْنَادٌ . ا هـ . عَنْ « كَشْفُ الخَفَاء » لِلعَجْلُونِي (١ / ٤٤٩) .

(١) « الإِصَابَةُ » (٨ / ١٨) .

(٢) « السِّيَر » (٢ / ١٩٧) .

وَعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ ـ رضي الله عنهما ـ قَالَ : « واللهِ ، مَا رَأَيْتُ خَطِيبًا ـ قَطُّ ـ أَبْلَغَ ، ولا أَفْصَحَ ، ولا أَفْطَنَ مِنْ عَائِشَةَ » [١] .

وَعَنِ الأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ : « سَمِعْتُ خُطْبَةَ أَبِي بَكْرٍ ، وَعُمَرَ ، وَعُثْمَانَ ، وَعَلِيٍّ ، والخُلَفَاءِ ، هَلُمَّ جَرًّا إِلىٰ يَوْمِي هَذَا ، فَمَا سَمِعْتُ الكَلامَ مِنْ فَمِ مَخْلُوقٍ أَفْخَمَ وَلا أَحْسَنَ مِنْهُ مِنْ فِيِّ عَائِشَةَ » [٢] .

وَعَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَّاحٍ قَالَ : « كَانَتْ عَائِشَةُ أَفْقَهَ النَّاسِ ، وَأَعْلَمَ النَّاسِ ، وَأَحْسَنَ النَّاسِ رَأْيًا فِي العَامَّةِ » [٣] .

---

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي « الكَبِيرِ » (٢٣ / ١٨٣-١٨٤) ، وَعِبَارَةُ : « وَلا أَفْصَحَ » لَيْسَتْ فِيهِ ، وَهِيَ فِي « المجمع » ، حَيْثُ أَوْرَدَهُ الهَيْثَمِي (٩ / ٢٤٣) ، وَعَزَاهُ إِلَيْهِ ، وَقَالَ : وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ .

(٢) « المُسْتَدْرَك » (٤ / ١١) .

(٣) المَرْجِعُ السَّابِقُ (٤ / ١٤) .

[١٧] أَنَّهَا كَانَتْ ذَاتَ زُهْدٍ وَكَرَمٍ وَصَدَقَةٍ :

عَنْ أَيْمَنَ المَكِّيِّ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَىٰ عَائِشَةَ - رضي الله عنها - وَعَلَيْهَا دِرْعُ[١] قِطْرٍ[٢]، ثَمَنُ خَمْسَةِ دَرَاهِمَ، فَقَالَتْ: « ارْفَعْ بَصَرَكَ إِلَىٰ جَارِيَتِي انْظُرْ إِلَيْهَا، فَإِنَّهَا تُزْهَىٰ[٣] أَنْ تَلْبَسَهُ فِي البَيْتِ، وَقَدْ كَانَ لِي مِنْهُنَّ دِرْعٌ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ - ﷺ -، فَمَا كَانَتِ امْرَأَةٌ تُقَلَّنُ[٤] بِالمَدِينَةِ إِلا أَرْسَلَتْ إِلَيَّ تَسْتَعِيرُهُ »[٥].[٦].

---

(١) دِرْعُ المَرْأَةِ - بِالكَسْرِ - قَمِيصُهَا، وَالجَمْعُ أَدْرَاعٌ.

(٢) القِطْرِ - بِالكَسْرِ - : ثِيَابٌ مِنْ غَلِيظِ القُطْنِ وَغَيْرِهِ، أَوْ مِنَ القُطْنِ خَاصَّةً. قَالَ الأَزْهَرِيُّ: الثِّيَابُ القِطْرِيَّةُ مَنْسُوبَةٌ إِلَىٰ قَطَرَ قَرْيَةٍ فِي البَحْرَيْنِ، فَكَسَرُوا القَافَ لِلنِّسْبَةِ وَخَفَّفُوا.

(٣) تُزْهَىٰ: تَأْنَفُ وَتَتَكَبَّرُ، يُقَالُ: زُهِيَ: إِذَا دَخَلَهُ الزَّهْوُ، وَهُوَ الكِبْرُ، وَهُوَ مِنَ الحُرُوفِ الَّتِي جَاءَتْ بِلَفْظِ البِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ، وَإِنْ كَانَتْ بِمَعْنَىٰ الفَاعِلِ، مِثْل: عُنِيَ بِالأَمْرِ، وَنُتِجَتِ النَّاقَةُ.

(٤) تُقَلَّيْنُ: تُزَيَّنُ.

(٥) أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ (٢٦٢٨).

(٦) قَالَ الحَافِظُ فِي « الفَتْحِ » (٥ / ٢٨٦-٢٨٧) بَعْدَ شَرْحِهِ أَلْفَاظَ

وَعَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ : « كَانَ عَبْدُ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ أَحَبَّ الْبَشَرِ إِلَى عَائِشَةَ بَعْدَ النَّبِيِّ - ﷺ - وَأَبِي بَكْرٍ ، وَكَانَ أَبَرَّ النَّاسِ بِهَا ، وَكَانَتْ لا تُمْسِكُ شَيْئًا مِمَّا جَاءَهَا مِنْ رِزْقِ اللهِ إِلا تَصَدَّقَتْ بِهِ . . . » [١] .

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ عَنْ أُمِّ ذَرَّةٍ - وَكَانَتْ تَغْشِي [٢] عَائِشَةَ - قَالَتْ : بَعَثَ إِلَيْهَا ابْنُ الزُّبَيْرِ بِمَالٍ فِي غِرَارَتَيْنِ [٣] ، قَالَتْ : أَرَاهُ ثَمَانِينَ وَمَائَةَ أَلْفٍ ، فَدَعَتْ بِطَبَقٍ ، وَهِيَ يَوْمَئِذٍ صَائِمَةٌ ، فَجَلَسَتْ تُقَسِّمُهُ بَيْنَ النَّاسِ ، فَأَمْسَتْ وَمَا عِنْدَهَا مِنْ ذَلِكَ

الحَدِيْث : « وَفِيْه حِلْمُ عَائِشَةَ عَنْ خَدَمِهَا ، وَرِفْقُهَا فِي الْمُعَاتَبَة ، وإِيْثَارُهَا بِمَا عِنْدَهَا مَعَ الحَاجَة إِلَيْه ، وَتَوَاضُعُهَا بِأَخْذِهَا السُّلْفَةَ فِي حَالِ اليسَارِ مَعَ مَا كَانَ مَشْهُوراً عَنْهَا مِنَ الجُود - رضي الله عنها - » . اهـ .

(١) أخْرَجَهُ البُخَارِيُّ (٣٥٠٥) .

(٢) يُقَالَ : غَشَاهُ يَغْشَاهُ غِشْيَانًا - بالكَسْر - إِذَا جَاءَهُ وَأَتَاهُ .

(٣) الغِرَارَة - بالكَسْر - وعَاءٌ ، والجَمْعُ الغَرَائِرُ .

دِرْهَمٌ ، فَلَمَّا أَمْسَتْ قَالَتْ : يَاجَارِيَةٌ ، هَلُمِّي فطري ، فَجَاءَتْ بِخُبْزٍ وَزَيْتٍ ، فَقَالَتْ لَهَا أُمُّ ذَرَّةٍ : أَمَا اسْتَطَعْتِ مِمَّا قَسَمْتِ اليَوْمَ أَنْ تَشْتَرِي لنا بِدِرْهَمٍ لَحْمًا نُفْطِرُ عَلَيْهِ ؟!! .

فَقَالَتْ لَهَا : لا تُعَنِّفِينِي ، لَوْ كُنْتِ ذَكَّرْتِنِي لَفَعَلْتُ[١] .

وَعَنْ عَطَاءٍ قَالَ : بَعَثَ مُعَاوِيَةُ إِلَىٰ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - بِقِلادَةٍ قُوِّمَتْ[٢] مِائَةَ أَلْفٍ ، فَقَبِلَتْهَا وَقَسَمَتْهَا فِي أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَكَانَتْ مِنْ أَسْمَىٰ النَّاسِ »[٣] .

---

(١) « صِفَةُ الصَّفْوَةِ » (٢ / ٢٩-٣٠) و« السِّيَر » (٢ / ١٨٧) ، وأَخْرَجَهُ ابْنُ سَعْدٍ فِي « الطَّبَقَات » (٨ / ٦٧) ، وأبو نَعِيم فِي « الحِلْيَة » (٢ / ٤٧) ، وَهُوَ هَكَذَا فِي « الصَّفْوَة » وَفِي « السِّيَر » و« الطَّبَقَات » : « مائَةَ أَلْف » ، وَفِي الحِلْيَة » ثَمَانِيْنَ أَوْ مَائَةَ أَلْفٍ » .

(٢) قُوِّمَتْ : ثُمِّنَتْ .

(٣) « أَنْسَابُ الأَشْرَاف »(١ / ٤١٨-٤١٩)، و« صِفَةُ الصَّفْوَةِ »(٢ / ٢٩)، و« السِّيَر » (٢ / ١٨٧) .

[١٨] أنَّها كانَتْ ذَاتَ ورعٍ :

عَنْ عَـوْفِ بْنِ مَالِكِ بْنِ الطُّفَيْلِ قَـالَ : إِنَّ عَائِشَةَ حُـدِّثَـتْ أَنْ عَـبْـدَ اللّٰهِ بْـنَ الزُّبَيْـرِ قَـالَ فِي بَيْعٍ أَوْ عَطَاءٍ أَعْطَتْـهُ عَائِشَـةُ : واللّٰهِ لَتَنْتَهِيَنَّ عَائِشَةَ ، أَوْ لأَحْجُـرَنَّ عَلَيْهَا [١] .

فَقَالَتْ : أَهُوَ قَالَ هَذَا ؟ ، قَالوا : نَعَمْ .

قَالَتْ : هُوَ للهِ عَلَيَّ نَذْرٌ أَلا أُكَلِّمَ ابْنُ الزُّبَيْرِ أَبَدًا .

فَاسْتَشْفَعَ ابْنُ الزُّبَيْرِ إِلَيْهَا حِيْنَ طَالَتِ الهِجْرَةُ ، فَقَالَتْ : لا واللهِ ، لا أُشَفِّعُ [٢] فِيْه أَبَدًا ، وَلا أَتَحَنَّثُ إِلىٰ نَذْرِي [٣] .

---

(١) لأَحْجُرَنَّ عَلَيْهَا : لأَمْنَعَنَّهَا مِنَ التَّصَرُّفِ فِي مَالِهَا ، وبَابُهُ نَصَرَ .
(٢) لا أُشَفِّعُ : لا أَقْبَلُ الشَّفَاعَةَ .
(٣) لا أتَحَنَّثُ إِلىٰ نَذْرِي أيْ : لا أكْتَسِبُ الحِنْثَ ـ بالكَسْرِ ـ ، وَهُوَ الذَّنْبُ .

فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَىٰ ابْنِ الزُّبَيْرِ ، كَلَّمَ المِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الأَسْوَدِ بْنِ يَغُوثَ ـ وَهُمَا مِنْ بَنِي زُهْرَةَ (١) ـ وَقَالَ لَهُمَا : أَنْشُدُكُمَا بِاللهِ (٢) لَمَّا أَدْخَلْتُمَانِي عَلَىٰ عَائِشَةَ ؛ فَإِنَّهَا لا يَحِلُّ لَهَا أَنْ تَنْذِرَ قَطِيعَتِي .

فَأَقْبَلَ بِهِ المِسْوَرُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ مُشْتَمِلَيْنِ بِأَرْدِيَتِهِمَا حَتَّىٰ اسْتَأْذَنَا عَلَىٰ عَائِشَةَ ، فَقَالاَ : السَّلامُ عَلَيْكُم وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، أَنَدْخُلُ؟، قَالَتْ عَائِشَةَ : ادْخُلُوا . قَالُوا : كُلُّنَا ؟ . قَالَتْ : نَعَمْ ، ادْخُلُوا كُلُّكُمْ ، وَلا تَعْلَمُ أَنَّ مَعَهُمَا ابْنَ الزُّبَيْرِ ، فَلَمَّا دَخَلُوا

---

(١) كَانَتْ عَائِشَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ أَرَقَّ النَّاسِ عَلَىٰ بَنِي زُهْرَةَ لِقَرَابَتِهِم مِنْ رَسُولِ اللهِ ـ ﷺ ـ، والمِسْوَرُ لَهُ صُحْبَةٌ ، وُلِدَ بَعْدَ الهِجْرَةِ بِسَنَتَيْنِ ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الفَضْلِ والدِّيْنِ ، قُتِلَ مَعَ ابْنِ الزُّبَيْرِ فِي حِصَارِ مَكَّةَ ، وَأَمَّا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الأَسْوَدِ فَمُخْتَلَفٌ فِي صُحْبَتِه ، والأَرْجَحُ أَنَّهُ تَابِعِيٌّ .

(٢) أَنْشُدُكُمَا بِاللهِ ـ بِالضَّمِّ ـ أيْ : أَسْأَلُكُمَا بِاللهِ ، وَأَسْتَحلِفُكُمَا بِهِ .

دَخَلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ الحِجَابَ ، فَاعْتَنَقَ عَائِشَةَ ، وَطَفِقَ يُنَاشِدُهَا وَيَبْكِي ، وَطَفِقَ المِسْوَرُ وَعَبْدُ الرَّحمَن يُنَاشِدَانِهَا إِلاَّ ما كَلَّمَتْهُ ، وَقَبِلَتْ مِنْهُ ، وَيَقُولانَ : إِنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - نَهَىٰ عَمَّا قَدْ عَلِمَتْ مِنَ الهِجْرَةِ ، فَإِنَّهُ : « لا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاثِ لَيَالٍ » .

فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَىٰ عَائِشَةَ مِنَ التَّذْكِرَةِ والتَّحْرِيْجِ [١] طَفِقَتْ تُذَكِّرُهُمَا وَتَبْكِي، وَتَقُولُ: إِنِّي نَذَرْتُ ، والنَّذْرُ شَدِيدٌ، فَلَمْ يَزَالا بِهَا حَتَّىٰ كَلَّمت ابْنَ الزُّبَيْرِ، وأَعْتَقَتْ فِي نَذْرِهَا ذَلِكَ أَرْبَعِينَ رَقَبَةً، وكَانَتْ تَذْكُرُ نَذْرَهَا بَعْدَ ذَلِكَ، فَتَبْكِي حَتَّىٰ تَبُلَّ دُمُوعُهَا خِمَارَهَا [٢] .

وَعَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ : اسْتَأْذَنَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَبْلَ مَوْتِهَا عَلَىٰ عَائِشَةَ وَهِيَ مَغْلُوبَةٌ ، قَالَتْ : أَخْشَىٰ أَنْ

---

(١) التَّحْرِيْج : الوُقُوع فِي الحَرَجِ ، وَهُوَ الضِّيْقُ .

(٢) أخْرَجَهُ البُخَارِيُّ (٦٠٧٣) .

يُثْنِيَ عَلَيَّ . فَقِيلَ : ابْنُ عَمِّ رَسُولِ اللهِ - ﷺ - وَمِنْ وُجُوهِ الْمُسْلِمِين. قَالَتْ : ائْذَنُوا لَهُ .

فَقَالَ : كَيْفَ تَجِدِينَكِ ؟ . قَالَتْ : بِخَيْرٍ إِنْ اتَّقَيْتُ (١) .

قَالَ : فَأَنْتِ بِخَيْرٍ إِنْ شَاءَ اللهُ - تَعَالَىٰ - ؛ زَوْجَةُ رَسُولِ اللهِ - ﷺ - ، وَلَمْ يَنْكِحْ بِكْرًا غَيْرَكِ ، وَنَزَلَ عُذْرُكِ مِنَ السَّمَاءِ .

وَدَخَلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ خِلَافَهُ (٢) ، فَقَالَتْ : دَخَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَأَثْنَىٰ عَلَيَّ ، وَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ نِسْيًا (٣) ، مَنْسِيًّا (٤) .

---

(١) إِنْ اتَّقَيْتُ أيْ : إِنْ كُنْتُ مِنْ أَهْلِ التَّقْوَىٰ .

(٢) خِلَافَهُ أيْ : بَعْدَ خُرُوجِه، فَتَخَالَفَا فِي الدُّخُولِ والخُرُوجِ ذَهَابًا وإِيَابًا، وَفْقَ رُجُوعُ ابْنِ عَبَّاسٍ مجيءَ ابْنِ الزُّبَيْرِ .

(٣) النِّسْيُ - بالكَسْرِ وَيُفْتَحُ - : الشَّيْئُ الحَقِيرُ المُطَّرَحُ ، لا يُؤْبَهُ لَهُ ، ولا يُلْتَفَتْ إِلَيْه ، والجَمْعُ أَنْسَاءٌ .

(٤) أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ (٤٧٥٣) .

وَفَاتُهَا - رضي الله عنها - :

تُوُفِّيَتْ - رضي الله عنها - لَيْلَةَ الثُّلاثَاء [١] ، لِثَلاثَ عَشْرَةَ بَقِيَتْ مِنْ رَمَضَانَ بَعْدَ الوِتْرِ [٢] ، فِي خِلافَةِ مُعَاوِيَةَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ [٣] ،عَنْ سِتٍّ وَسِتِّيْنَ سَنَةً [٤] ، لأَنَّهَا تَزَوَّجَتْ عَامَ الهِجْرَةِ وَهِيَ بِنْتُ تِسْعٍ .

وَقَدْ أَوْصَتْ أَنْ تُدْفَنَ مِنْ لَيْلَتِهَا بِالبَقِيْعِ [٥] ، فَاجْتَمَعَ الأَنْصَارُ وَحَضَرُوا، نَزَلَ أَهْلُ العَوَالِي، فَلَمْ يُرَ لَيْلَةً أَكْثَرَ نَاسًا مِنْهَا [٦] .

---

(١) «البدَايَةُ والنِّهَايَة» (٨/٤٦٧) .

(٢) المَرْجِعُ السَّابِقُ ، و«السِّيَر» (٢/١٩٢) .

(٣) به جَزَمَ المَدَائِنِيُّ ، وَقِيْل : فِي الَّتِي قَبْلَهَا ، وَقِيْلَ : فِي الَّتِي بَعْدَهَا : انْظُر: «الفَتْح» (٧/٤٧٩) .

(٤) « تَلْقِيْحُ فَهْدَمَ أَهْلَ الأَثَر » (ص٢٠) لابْن الجَوْزِيِّ .

(٥) البَقِيْع - بِزِنَةِ الأَمِير - مَقْبَرَةٌ بِالمَدِيْنَة .

(٦) « طَبَقَات ابْنُ سَعْد» (٨/٧٦-٧٧) و«المُسْتَدْرك» (٤/٦) و«السِّيَر» (٢/١٩٢-١٩٣) .

وَكَـانَتْ ـ رضي الله عنها ـ تُحِبُّ أَنْ تُدْفَنَ فِي بَيْتِهَا ، ثُمَّ عَدَلَتْ عَنْ ذَلِكَ .

فَعَنْ قَيْسٍ قَالَ : قَالَتْ عَائِشَةُ ، وَكَانَتْ تُحَدِّثُ نَفْسَهَا أَنْ تُدْفَنَ فِي بَيْتِهَا ، فَقَالَتْ : إِنِّي أَحْدَثْتُ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ـ صلى الله عليه وسلم ـ حَدَثًا (١) ،ادْفِنُونِي مَعَ أَزْوَاجِهِ، فَدُفِنَتْ فِي الْبَقِيعِ ـ رضي الله عنها ـ (٢) .

وَصَلَّىٰ عَلَيْهَا أَبُو هُرَيْرَةَ ـ رضي الله عنه ـ وَكَانَ خَلِيفَةَ مَرْوَانَ عَلَىٰ الْمَدِينَةِ ، اعْتَمَرَ مَرْوَانُ وَاسْتَخْلَفَهُ (٣) .

---

(١) قَالَ الذَّهَبِيُّ فِي « السِّيَر » (٢/١٩٣) : « تَعْنِي بالحَدَث مَسِيرَهَا يَوْمَ الجَمَلِ ، فإنَّهَا نَدِمَتْ نَدَامَةً كُلِّيَّةً ، وَتَابَتْ مِنْ ذَلِكَ ، عَلَىٰ أَنَّهَا مَا فَعَلَتْ ذَلِكَ إلا مُتَأَوِّلَةً قَاصِدَةً للخَيْرِ ، كَمَا اجْتَهَدَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيدِ اللهِ ، والزُّبَيْرُ بْنُ العَوَّامِ ، وَجَمَاعَةٌ مِنَ الكِبَارِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنِ الجَمِيعِ » .

(٢) « طَبَقَاتُ ابْن سَعْدٍ » (٨/٧٤) وَصَحَّحَهُ الحَاكِمُ (٤/٦) وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ .

(٣) « المُسْتَدْرَك » (٤/٦) ، و« السِّيَر » (٢/١٩٣) .

وَنَزَلَ فِي قَبْرِهَا خَمْسَةٌ ، وَهُمْ : عَبْدُ اللهِ ، وعُرْوَةُ ابْنَا الزُّبَيْرِ بْنِ العَوَّامِ« مِنْ أُخْتِهَا أَسمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ » ، وَالقَاسِمُ ، وعَبْدَ اللهِ ابْنَا أَخِيهَا مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ (١) .

---

(١) « البدَايَةُ والنِّهَايَة » (٨/ ٤٦٧) .

قَصِيْدَةٌ فِي مَنَاقِبِ أُمِّ المُؤْمِنِينَ

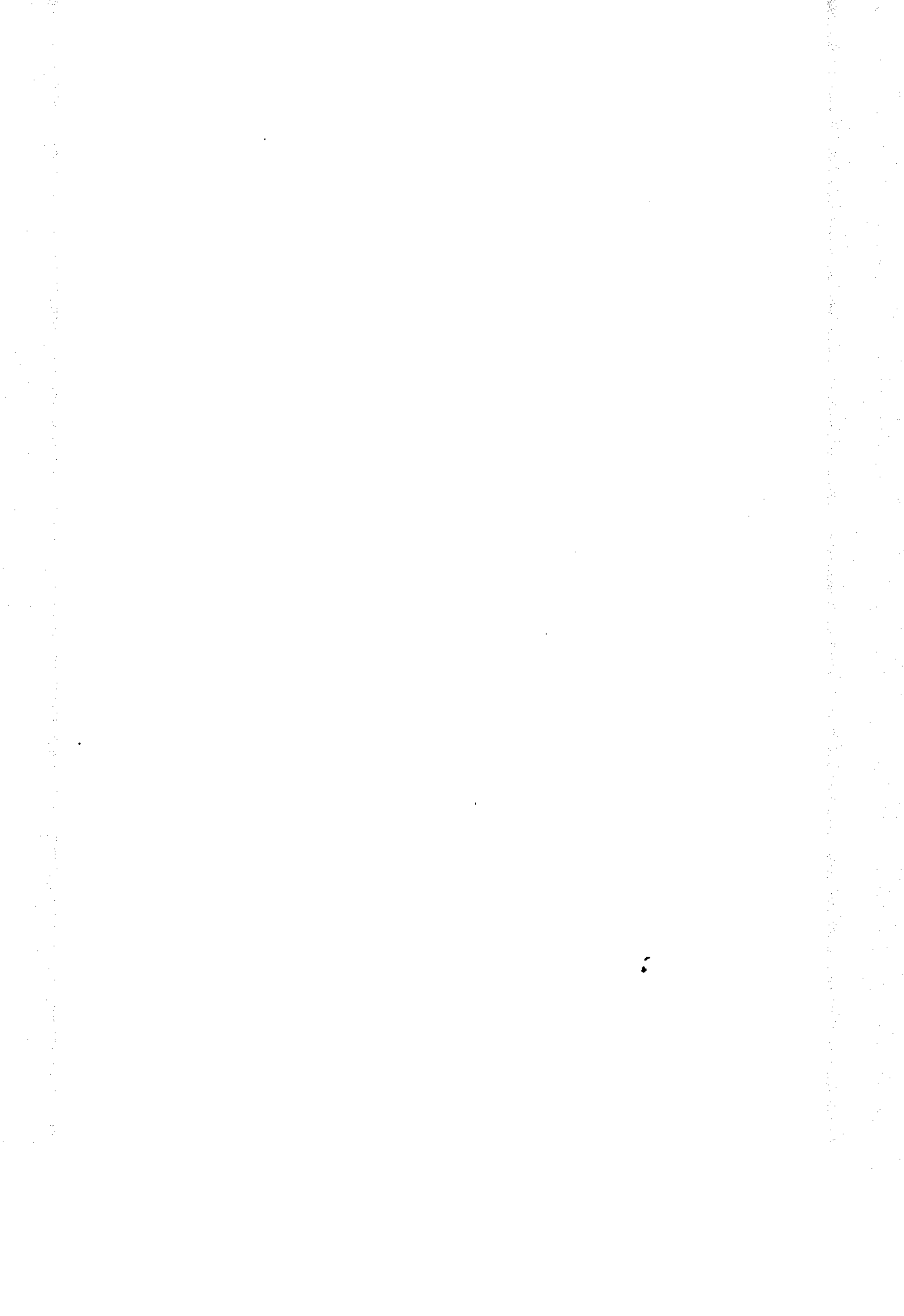
عَائِشَةَ الصِّدِّيقَة

- رَضِيَ اللهُ عَنها -

نَظْمُ

أَبِي عِمْرَانَ مُوسَىٰ بْنِ مُحَمَّدِ عَبْدِ اللهِ

الوَاعِظِ الأَنْدَلُسِيِّ



قَصِيدَةٌ فِي مَنَاقِبِ أُمِّ المُؤْمِنِين

عَائِشَةَ الصِّدِّيقَةِ - رضي الله عنها -

[١] مَا شَانُ أُمِّ المؤْمِنِيْنَ وَشَانِي

هُدِيَ المُحِبُّ لَهَا وضَلَّ الشَّانِي(١)

[٢] إِنِّي أَقُولُ مُبيِّناً عَنْ فَضْلِهَا

ومُتَرْجِماً عَنْ قَوْلِها بِلِسَانِي

[٣] يا مُبْغِضِي لا تَأْتِ قَبْرَ مُحَمَّدٍ

فَالبَيْتُ بَيْتِي والمَكَانُ مَكَانِي

[٤] إِنِّي خُصِصْتُ على نِسَاءِ مُحَمَّدٍ

بِصِفَاتِ بِرٍّ تَحْتَهُنَّ مَعَانِي

---

(١) الشَّانِي : المُبْغض ، أصْلُهَا : الشَّانِئ - بالهَمْزَةِ - فَخُفِّفَت الهَمْزَةُ ، فَقُلِبَتْ يَاءً .

[٥] وَسَبَقْتُهُنَّ إِلي الفَضَائِلِ كُلِّها

فالسَّبقُ سَبْقِي والعِنَانُ(٢)عِنَانِي

[٦] مَرِضَ النَّبِيُّ وَمَاتَ بَيْنَ تَرائبي(٣)

فالْيَوْم يَوْمِي والزَّمانُ زَمَانِي

[٧] زَوْجي رَسُولُ اللهِ لَمْ أَرَ غَيْرَهُ

اللهُ زَوَّجَنِي بِهِ وحَبَانِي

[٨] وَأَتَاهُ جِبْرِيلُ الأَمِيْنُ بِصُوْرَتِي

فَأَحَبَّنِي يَوْمِي وَحَبَانِي (٣)

[٩] أَنَا بِكْرُهُ العَذْراءُ عِنْدي سِرُّهُ

وضَجِيْعُهُ(٤)فِي مَنْزلي قَمَرانِ(٥)

---

(١) العِنَان ـ بالكَسْرِ ـ الاعتِرَاض لِلشَّيء والظُّهُور أَمَامَهُ .

(٢) التَّرَائِب : عِظَام الصَّدْر ، وَاحِدَتُها تَرِيْبَةٌ .

(٣) حَبَانِي به : أَعْطَانِيْه .

(٤) الضَّجِيْعُ : االمُضَاجِع .

(٥) القَمَرَان : أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرَ ـ رضي الله عنهما ـ وَهُمَا ضَجِيْعَا النَّبِيِّ ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

[١٠] وتَكَلَّمَ اللهُ العَظِيْمُ بحُجَّتي
وبَرَاءَتي في مُحْكَمِ القُرْآنِ

[١١] واللهُ حَفَّرَني (١) وَعَظَّمَ حُرْمَتي
وَعَلَىٰ لِسَانِ نبِيِّهِ بَرَّاني

[١٢] واللهُ فِي القُرآنِ قَدْ لَعَنَ الَّذي
بَعْدَ البَرَاءَةِ بالقَبِيْحِ رَمَانِي

[١٣] واللهُ وبَّخَ مَنْ أرَادَ تَنقُّصي
إفْكًا وسَبَّحَ نفسهُ فِي شَانِي (٢)

[١٤] إنِّي لَمُحْصَنَةُ الإزارِ (٣) بَرِيئَةُ
ودليلُ حُسْنِ طَهَارَتي إحْصَانِي (٤)

---

(١) حَفَّرَني : حَمَانِي وأَجَارَني .
(٢) في قَوْله ـ تَعَالَىٰ ـ ﴿ سبحانك هذا بهتانٌ عظيمٌ ﴾ [النور : ١٦] .
(٣) لَمُحْصَنَةُ الإزار أيْ : مُحْكَمَتُهُ مَشْدُودَتُهُ ، فَلا يُوصَلُ إلىٰ مَا فِي جَوْفه ، كنَايَةٌ عَنْ العفَّةِ والطَّهَارَةِ .
(٤) الإحْصَان : التَّزْوِيْج .

[١٥] واللهُ أحْـصَـنَني بخَـاتَـمِ رُسْـلِه

وأذَلَّ أَهْلَ الإفْكِ والبُـهْـتَان[١]

[١٦] وسَمِعْتُ وَحيَ اللهِ عِندَ مُحَمَّدٍ

مِنْ جِبْرَئِيلَ ونُورُه يَغْشَانِي[٢]

[١٧] أَوْحَىَ إِلَيْهِ وكُنْتَ تَحتَ ثِيابه

فَـحَنَا[٣]عَلَيَّ بِثَوْبِهِ وَخَـبَّـانِي

[١٨] مَنْ ذا يُفاخِرُني وينْكِرُ صُحْبَتي

ومُحَمَّدٌ فِي حِجْرِه[٤]رَبَّانِي؟

[١٩] وَأَخَذْتُ عَنْ أَبَوَيَّ دِينَ مُحَمَّدٍ

وَهُمَا عَلَىٰ الإسْلامِ مُصْطَحِبَانِي

---

(١) البُهْتَان ـ بالضَّمِّ ـ الافْتِراءُ والكَذِب .

(٢) يَغْشَانِي : يعلُوني ويُغطِّيني .

(٣) فَحَنَا عَلَيَّ : حَنَّ وَعطَف وأشْفَقَ ، وَبابُهُ سَمَا .

(٤) حُجْرُ الإنْسانِ ـ بالتَّثْلِيْث ـ حِضْنُهُ ، والجَمْعُ حُجُورٌ .

[٢٠] وَأَبَي أَقَامَ الدِّيْنَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ

فالنَّصْلُ[١] نَصْلي والسِّنَانُ[٢] سِناني

[٢١] والفَخرُ فَخْري والخِلاَفَةُ فِي أَبي

حَسْبِي بِهَذَا مَفْخَراً وكَفَانِي

[٢٢] وَأَنَا ابْنَةُ الصِّدِّيقِ صَاحِبِ أَحْمَدٍ

وحَبِيْبِهِ فِي السِّرِّ والإِعْلانِ

[٢٣] نَصَرَ النَّبيَّ بِمَالِهِ وفَعَالِهِ

وخُروجِهِ مَعَهُ مَنْ الأَوْطَانِ

[٢٤] ثَانِيهِ فِي الغَارِ الَّذي سَدَّ الكُوَىٰ[٣]

بِرِدَائِهِ أكْرِمْ بِهِ منْ ثَانِ

---

(١) النَّصْلُ ـ بالفَتْحِ ـ حَدِيْدَةُ السَّهْمِ، والرُّمْحِ، والسَّيْفِ مَا لَمْ يَكُنْ لَهُ مَقْبِضٌ، فَإِذَا كَانَ لضهُ مَقْبِضٌ فَسَيْفٌ، والجَمْعُ أَنْصُلٌ، وَنِصَالٌ، وَنُصُولٌ.

(٢) السِّنَان ـ بالكَسْرِ ـ حَدِيْدَةُ الرُّمْحِ لِصَقَالَتِها ومَلاسَتِهَا، والجَمْعُ أَسِنَّةٌ.

(٣) الكُوَىٰ ـ بالضَّمِّ ـ : جَمْعُ كُوَّةٍ ـ بالفَتْحِ والضَّمِّ، كَقَرْيَةٍ وقُرىً، وَمُدْيَةٍ ومُدَىً، والكَوَّة : هِيَ الخَرْقُ فِي الجِدَارِ، يَدْخُلُ مِنْهُ الهَوَاءُ والضَّوءُ.

[٢٥] وجفى الغنى(١) حتى تخلل(٢) بالعبا(٣)
زُهداً(٤) وأذعن(٥) أيما إذعانِ

[٢٦] وتخللت معه(٦) ملائكة السما
وأتته بشرى الله بالرضوان(٧)

[٢٧] وهو الذي لم يخش لومة لائم
في قتل أهل البغي والعدوان

---

(١) جفا الغنى: هجره وابتعد عنه، وبابه عدا، وجفاء - أيضاً - بالفتح والمد ويقصر -.

(٢) يقال: تخلل كساءه: إذا ضم وشد طرفيه بخلال، والخلال - بزنة الكتاب - العود يخلل به الثوب، والجمع أخلة.

(٣) العبا: - بالفتح -: العباءة، وهي كساء معروف، أصلها: العباء، فحذفت الهمزة تسهيلاً، والجمع أعبئة.

(٤) زهداً: رغبة عن الدنيا.

(٥) أذعن: انقاد وأسرع في الطاعة.

(٦) تخللت معه: دخلت معه في كسائه المخلول.

(٧) يشير إلى قوله - تعالى - ﴿ وسيجنبها الأتقى (١٧) الذي يؤتي ماله يتزكى (١٨) وما لأحد عنده من نعمة تجزى (١٩) إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى (٢٠) ولسوف يرضى ﴾ [الليل: ١٧-٢١]، فإنها نزلت في أبي بكر الصديق - رضي الله عنه -.

[٢٨] قَتَلَ الأُلَى[١] مَنَعُوا الزَّكَاة بكُفْرِهِمْ
وَأَذَلَّ أَهْلَ الكُفْرِ والطُّغيَان[٢]

[٢٩] سَبقَ الصَّحابةَ والقَرابةَ للْهُدَىٰ
هُوَ شَيْخُهُم في الفَضْلِ والإِحْسَانِ

[٣٠] واللهِ مَا اسْتَبَقُوا لِنَيْلِ فَضِيْلَةٍ
مِثْلَ اسْتِبَاقِ الخَيْلِ يَوْمَ رِهَانِ[٣]

[٣١] إِلا وَطَارَ أَبِي إِلىٰ عَلْيَـائِهَـا
فَـمَكَانُهُ مِنْهَـا أَجَلُّ مَكَانِ

[٣٢] ويلٌ[٤] لِعَبْدٍ خَانَ آلَ مُحَمَّدٍ
بعَداوَةِ الأَزْوَاجِ والأَخْتَان[٥]

---

(١) الأُلَىٰ ـ بزِنَة العُلَىٰ ـ اسْم مَوْصُول لِجَمْع المذكَّر مُطْلَقًا، وَهُوَ هُنَا بِمَعْنَىٰ: الَّذيْن.

(٢) الطُّغيَان ـ بالضَّمِّ والكَسْر ـ الإِسْرَاف وَمُجَاوزَة الحدِّ في المَعَاصِي والظُّلْم.

(٣) الرِّهَان ـ بالكَسْرِ ـ المُسَابَقَة عَلَىٰ الخَيْلِ.

(٤) وَيْل ـ بالفَتْح ـ كَلِمَة عَذَاب.

(٥) الأَخْتَان: جَمع خَتَنٍ ـ بالتَّحْرِيْك ـ، وَخَتَنُ الرَّجُلِ: أَبُو امْرأَتِه، وأَخُوهَا، وَكُلُّ مَنْ كَانَ مِنْ قِبَلِهَا.

[٣٣] طُوبَىٰ[١] لِمَنْ والَىٰ[٢] جَمَاعَةَ صَحْبِه
وَيَكُونُ مِنْ أحْبَابِهِ الحَسَنان[٣]

[٣٤] بَيْنَ الصَّحَابَةِ والقَرَابَةِ أُلْفَةٌ
لا تَسْتَحِيلُ[٤] بِنَزْغَةِ الشَّيْطَانِ[٥]

[٣٥] هُمْ كالأَصَابِعِ في اليدَينِ تَوَاصُلاً
هَلْ يَسْتَوِي كَفٌّ بِغَيْرِ بَنانِ[٦]؟

---

(١) طُوبَىٰ لَهُ : العَيْشُ الطَّيِّبُ لَهُ ، وَقِيلَ : طَوبَىٰ : اسْمُ الجَنَّةِ بالحَبَشِيَّةِ.
(٢) وَالَىٰ : ضِدُّ عَادَىٰ .
(٣) الحَسَنَان : الحَسَنُ والحُسَيْنُ ابْنَا عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ـ رَضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِم جَمِيْعًا ـ .
(٤) لا تَسْتَحِل : لا تَتَحوَّلَ ولا تَتَغَيَّرُ .
(٥) نَزْغَةَ الشَّيْطَان : وَسْوَسَتُهُ في القَلْبِ بِمَا يُفْسِدُ الإنْسَانَ عَلَىٰ صَاحِبه، يُقَالُ : نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنَهُمْ ـ مِنْ بَابِي ضَرَبَ وَقَطَعَ ـ إذا أَفْسَدَو أَغْرَىٰ وَحَمَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ .
(٦) البَنَان ـ بالفَتْح ـ الأصابع ، واحدتُها بَنَانَةٌ .

[٣٦] حَصِرَتْ [١] صُدورُ الكَافِرِيْنَ بِوَالدي
وقُلوبُهُمْ مُلِئَتْ من الأَضْغَانِ [٢]

[٣٧] حُبُّ البَتُولِ [٣] وبَعْلِهَا [٤] لَمْ يختلفْ
مِن مِلَّةِ [٥] الإِسْلامِ فِيْهِ اثْنَانِ

[٣٨] أَكْرِمْ بِأَرْبَعَةٍ أَئِمَّةِ شَرْعِنَا
فَهُمُ لِبَيْتِ الدِّيْنِ كَالأَرْكَانِ

[٣٩] نُسِجتْ مَوَدَّتُهُمْ سَدًى [٦] في لُحمةٍ [٧]
فَبِنَاؤُهَا مِنَ أَثْبَتِ البُنيَانِ

---

(١) حَصِرَتْ : ضَاقَتْ ، وَبَابُهُ فَرِحَ .

(٢) الأَضْغَانِ : الأَحْقَاد ، وَاحِدَهَا ضِغْنٌ ـ بالكَسْرِ ـ .

(٣) البَتُول : ـ بِزِنَة الغَفُور ـ فَاطِمَةُ بِنْت سَيِّد المُرسَلِيْن ـ عَلَيْهِمَا الصَّلاة والسَّلام ـ ؛ لانْقَطَاعِهَا عَنْ نِسَاءِ الأُمَّة فَضْلاً وَدِيْنًا وَحَسَبًا .

(٤) بَعْلُهَا ـ بالفَتْح ـ زَوْجُهَا عَلِيٌّ بن أَبِي طَالب ـ ـ وَجَمْعُ البَعْلِ : بِعَالٌ ، وبُعُولَةٌ ، وبُعُولٌ .

(٥) المِلَّة ـ بالكَسْر ـ : الدِّيْن والشَّرِيْعَة ، والجَمْع مِلَلٌ .

(٦) السَّدَىٰ ـ بزِنَة الفَتَىٰ ـ منَ الثَّوب :مَا يُمَدُّ طُولاً في النَّسْج ،والجَمْعُ أَسْدَاءٌ .

(٧) اللُّحْمَة ـ بالضَّمِّ والفَتْح ـ خِلاف السَّدَىٰ ، وَهِيَ مَا يُنْسَجُ عَرْضًا ،

[٤٠] اللهُ ألَّـفَ بَيْـنَ وُدِّ قُلُـوبِـهِـمْ
لِيَـغِـيْظَ كُلَّ مُنَافِقٍ طَعَّـانِ(١)

[٤١] رُحَمَاءُ بَيْنَهُمُ صَفَتْ أَخْلاقُهُمْ
وَخَلَتْ قُلُوبهمُ مِنَ الشَّنْآنِ(٢)

[٤٢] فَدُخُولُهُمْ بَيْنَ الأَحِبَّةِ كُلْفَةٌ(٣)
وَسِبَابُهُمْ سَبَبٌ إِلَىٰ الحِرْمَانِ

[٤٣] جَمَعَ الإِلَهُ المُسْلِمِينَ عَلَىٰ أَبي
واسْتَبْدَلُوا مِنْ خَوْفِهِمْ بِأَمَانِ

وَمِنْهُ المَثَلُ : « أَلحِمْ مَا أَسْدَيْتَ » أيْ تَمِّمْ مَا ابْتَدَأْتَهُ مِنَ الإِحسَان، وَفِي الحَدِيْث : « الوَلاءُ لُحمَةٌ كَلُحْمَةِ الثَّوب » أيْ : أَنْ المُخَالَطَة فِي الوَلاءِ كَمُخَالَطَة اللُّحْمَة سَدَىٰ الثَّوْبِ ، حَتَّىٰ يَصِيْرَا كَالشَيْءِ الوَاحِد ، لِما بَيْنَهُمَا مِنَ المُداخَلَة الشَّدِيْدَة .

(١) طَعَّان : وَقَّاع فِي أعْرَاضِ النَّاسِ بالذَّمِّ ، والغِيْبَةِ ، ونَحْوِهِمَا ، صِيْغَةُ مُبالَغَةٍ مِنْ طَعَنَهُ بلسَانه : إذَا ثَلَبَهُ وعَابَهُ .

(٢) الشَّنْآن ـ بِفَتْحِ الشِّيْن ـ ، وإسْكَان النُّون ، وتُفْتَحُ : البغْضَةُ .

(٣) كُلْفَة ـ بالضَّمِّ ـ : مَشَقَّة ، والجَمْعُ كُلَفٌ .

[٤٤] وإِذَا أَرَادَ اللهُ نُصْـرَةَ عَـبْـدِه
مَنْ ذَا يُطِيْقُ لَهُ عَلَىٰ خِـذْلانِ

[٤٥] مَنْ حَبَّنِي فَلْيَجْتَنِبْ مَنْ سَبَّنِي
إِنْ كَانَ صَانَ مَحَبَّتِي ورَعَانِي

[٤٦] وإِذَا مُحِبِّي قَدْ أَلَظَّ بِمُبْغِضِي[١]
فَكِلاهُمَا فِي البُغْضِ مُسْتَوِيَانِ

[٤٧] إِنِّي لَطَيِّبَـةٌ خُلِقْتُ لِطَيْبِ
وَنِسَاءُ أَحْمَدَ أَطْيَبُ النِّسْوَانِ

[٤٨] إِنِّي لأُمُّ المُؤْمِنِيْنَ فَـمَنَ أَبَىٰ
حُبِّي فَسَوْفَ يَبُوءُ[٢] بِالخُسْرَانِ

[٤٩] اللهُ حَـبَّـبَنِي لِقَلْبِ نَبِيِّـهِ
وإِلَىٰ الصِّرَاطِ المُسْتَقِيْمِ هَدَانِي

---

(١) أَلَظَّ بِمُبْغِضِي : لَزِمَهُ وَلَمْ يُفَارِقْهُ .
(٢) يَبُوءَ : يَرْجِعُ ، وبَابُهُ قَالَ .

[٥٠] واللهُ يُكْرِمُ مَنْ أَرَادَ كَرامَتي
ويُهِينُ ربِّي مَنْ أَرادَ هَوَانِي

[٥١] واللهُ أَسْأَلُه زِيَادَةَ فَضْله
وَحَمِدْتُهُ شُكْراً لِما أَوْلاني[١]

[٥٢] يَا مَنْ يَلُوذُ[٢] بِأَهْلِ بَيْتٍ مُحَمَّد
يَرْجُو بِذَلِكَ رَحْمَةَ الرَّحْمَانِ

[٥٣] صِلْ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِين وَلا تَحُدْ[٣]
عنَّا فتُسْلَبَ حُلَّةَ الإِيمَانِ

[٥٤] إِنِّي لَصَادِقَةُ المَقَالِ كَرِيمَةٌ
إِيْ[٤] والَّذي ذَلَّتْ لَهُ الثَّقَلانِ[٥]

---

(١) أَوْلاني : أَعْطَاني وأَسْدَىٰ إِليَّ .
(٢) يَلُوذُ : يَعُوذ ويَحْتَضِنُ . والخِطَاب هُنا لِلشِّيْعَة الرَّافِضَة .
(٣) لا تَحدْ : لا تَمِلْ وتَعْدِلْ .
(٤) إِيْ ـ بالكَسْرِ ـ بِمَعْنَىٰ نَعَمْ ، إلا أنَّها مُخْتَصَّة بالمجيء مَعَ القَسَمِ .
(٥) الثَّقَلانِ ـ بالتَّحْرِيْك ـ الإِنْسُ والجِنُّ .

[٥٥] خُذْهَا إِلَيْكَ فَإِنَمَا هِي رَوْضَةٌ(١)

مَحْفُوفَةٌ بِالرُّوْحِ(٢) والرَّيْحَانِ(٣)

[٥٦] صَلَّىٰ الإِلَـهُ عَلَىٰ النَّبِيِّ وآلِهِ

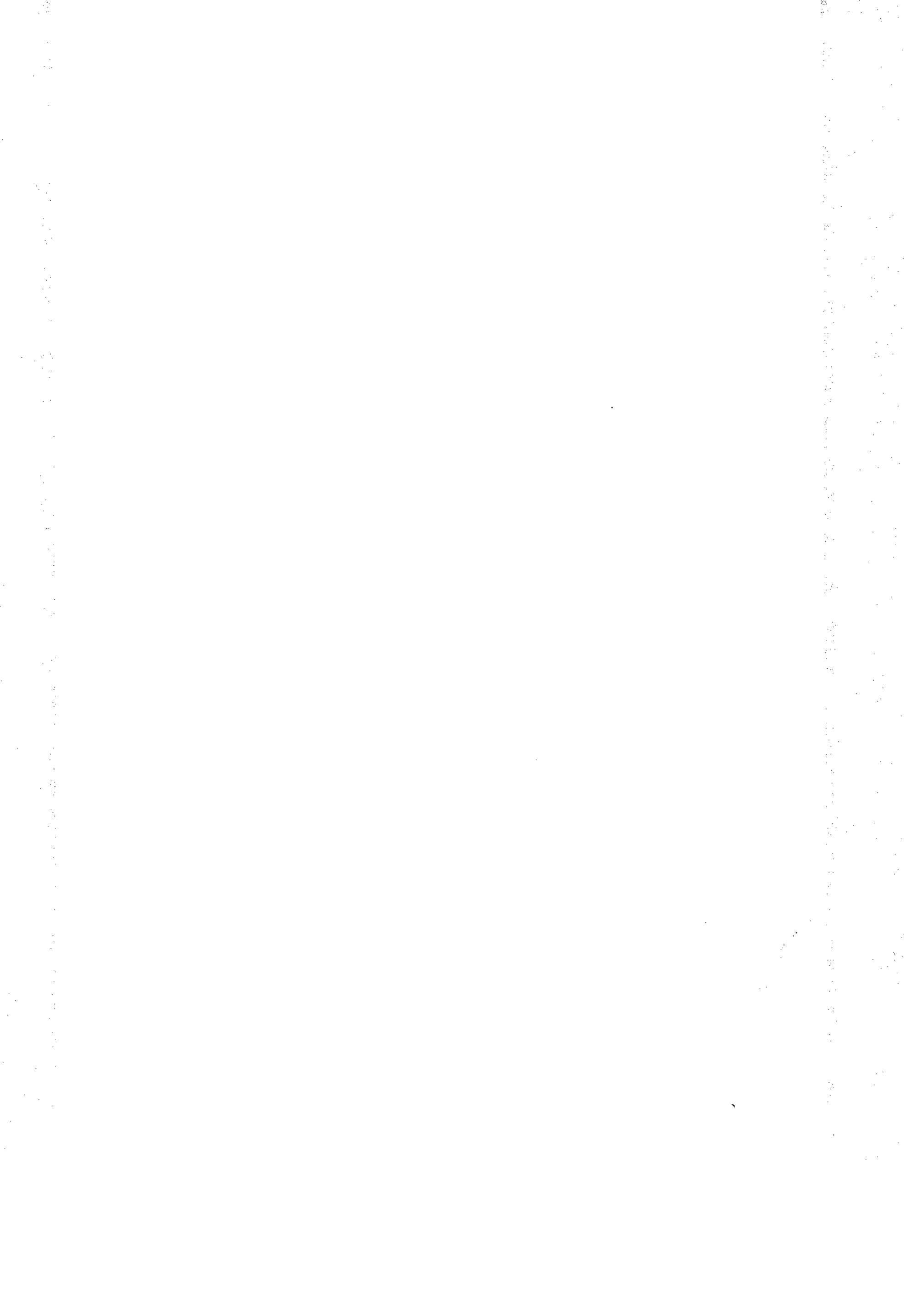
فَبِهِمْ تُشَمُّ أزاهِرُ البُسْتَانِ



(١) الرَّوْضَةُ ـ بالفَتْحِ ـ البُسْتَانِ الحَسَن، والجَمْعُ رَوْضَاتٌ ، وَرَوْضٌ ، وَرِيَاضٌ ، ورَيْضَانٌ .

(٢) الرَّوْح ـ بالفَتْح ـ نَسيمُ الرِّيحُ .

(٢) الرَّيْحَان ـ بالفَتْح ـ كُلُّ نَبتٍ طَيِّبِ الرَّائِحَةِ الطَّاقَةُ الوَاحِدَةُ فِيْهُ رَيْحَانَةٌ .



فهرس

رقم الصفحة

